

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00978 4459

Library of
The American University
at Cairo

ppp is the man that
findeth wisdom and
the man that getteth
understanding ++ ++

PROVERBS 3-13

Ex libris datis
in memoriam
James Polk Mc Kinney
Pittsburgh, Pennsylvania



03-870

Feb Jan 8th

al-Hakīm, Tawfīq.
Sultān al-Zalām

(C) توفيق الحكيم

PJ
7828
K52
S8
1941
C.1

سُلْطَانُ الظَّلَامِ

« ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلام »
الأنجيل

الناشر : مكتبة الآداب بالجاميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل

١٩٤١

OCLC
952646070

2000

B12328030
13653271

172-A
T3/s
Mck.

٨١٠٨
ح. ت. س

22102

Forner

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في اللغة العربية

محمد { (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ومطبعة المعارف
عام ١٩٣٦)

شهر زاد { (مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)

أهل الكهف { (مطبعة مصر ومطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣ . ومطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)

عودة الروح { (مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣)
في جزئين

أهل الفن : (مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

مذكرات { المجلد الأول : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر
الجنون ، رصاص في القلب ، جفينا اللطيف .
توفيق الحكيم { (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

القصص { بالأشتراك مع الدكتور طه حسين بك :
المسحور { (مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

مسرحيات
توفيق الحكيم
المجلد الثاني : ويشمل قصص : الخروج من الجنة ، أمام
شباك التذاكر ، الزمار ، حياة تحطمت . (مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب
في الأرياف
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٩٣٨)

عصفور من
الشرق
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

تحت شمس
الفكر
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

تاريخ حياة
معدة
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

عهد الشيطان { (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

براكسا
أو
مشكلة الحكم { مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

راقصة
المعبود { مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

نشيد الأُنشاد { مطبعة مصر عام ١٩٤٠

حمام الحكيم { مطبعة التوكل عام ١٩٤٠

سلطان الظلام : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد { ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليكونت عضو الأكاديمية الفرنسية .

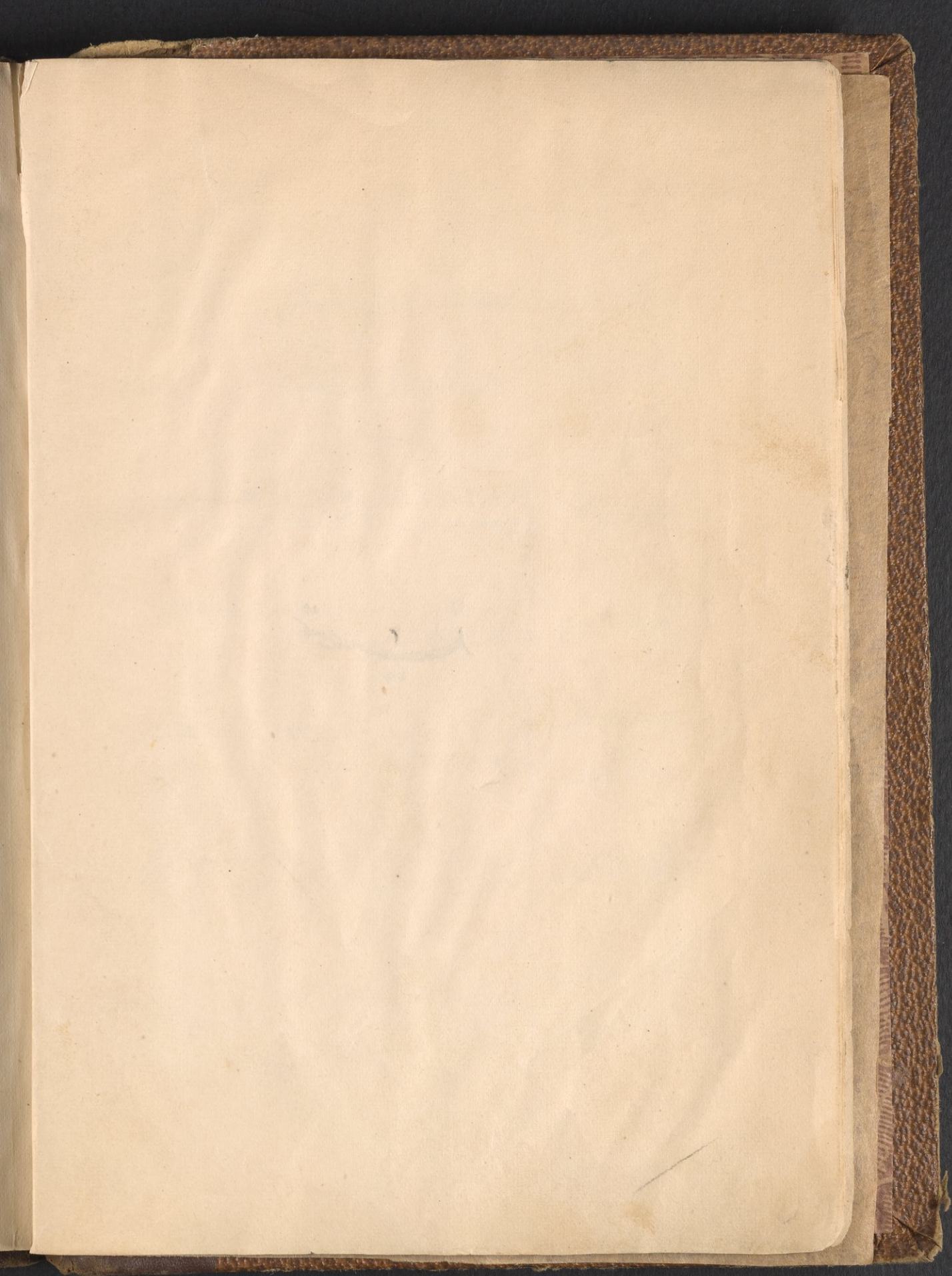
عودة الروح { ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥ .
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ .

يوميات نائب { ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
في الأرياف { حافظ عفيفي باشا .

أهل الكهف { ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بمقدمة تاريخي
لجاستون فيديت مدير دار الآثار العربية .

عصفور من { ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١
الشرق {

تحت



١
تأملات حول مصير الإنسانية

هذه الصفحات ليست سوى صيحات ، لا
أملك غير إطلاقها في هذه الساعات التي لا يستطيع
أحد بعد أن يتنبأ فيها بمصير الإنسان الحر .

...

إن الظلام الزاحف على الإنسانية يخيفني .
اني لم أزل أتأمل تلك الكلمة التي قالها وكيل خارجية
امريكا «سمتر ويلز» منذ نحو عام : «ليس في مقدورنا
أن نتكهن بشيء عن احتمال العودة مرة أخرى إلى

Summer
Wells

ظلام القرون الوسطى ، على الأقل فيما يتعلق
بشؤون الفكر والروح : ... الخ » إنني لم أزل أطرح
 على نفسي هذا السؤال : هل في الأماكن حقا أن
 يحق الإنسانية ظلام بعد هذا الشوط الذي قطعته
 في سبيل النور ؟

...

هل أصدق قول المفكر الألماني « كيسرلينج » :
ما الإنسان إلا مخلوق تتركز فيه قوى روحية وقوى
أرضية . جوهره العميق ، ذلك الذي قد يعد خالدا
 هو روح خالص . ولكن هنالك حقيقة تسترعي
 النظر ، هي انه منذ ليل الازمان والاديان ما برحت
 تحض على اتباع تعاليم الروح فهل صادفت في ذلك
 غير نجاح قليل ، بينما كانت نوازع الأرض والدم

لا تفرض فقط سلطاتها فرضاً بل تقبل اي سر القبول
 في شيء من الخضوع الطبيعي . هذه الحقيقة وحدها
 تثبت لنا أن ثمانين في المائة من المخلوق البشري
 تتألف من العناصر الأرضية التي تدخل في نطاق
 العالم الحيواني والنباتي .

...

ما أقسى هذا الكلام على من يؤمن بالتقدم
 الانساني . ينبغي مع الأسف ان نتوقع اذن في كل
 حين ثورة هذه الثمانين في المائة على العشرين الباقية .

...

تتمثل لذهني أيضا صورة رسمها « جيمس
 روبنسون » المفكر الأمريكي ، لتطور البشرية
 ومدى انتقالها من عهد الى عهد . فقد افترض أن

حياة الانسانية منذ عصورها الأولى إلى اليوم
 (وهي التي تقدر أحيانا بخمسمائة الف سنة) تبلغ
 خمسين عاما فقط رغبة في التبسيط . فإذا وجد ؟
 وجد ان تسعا واربعين سنة من هذه الخمسين قضتها
 البشرية في حياة الصيد الأولى . ولم تبلغ في نهايتها
 من حيث المعرفة والادراك إلا درجة تمكنها من
 استئناس بعض الحيوان ونسج بعض الخشن من
 الثياب . أما في السنة الأخيرة الباقية من عمر
 الانسانية ، فقد كان ينبغي ان يمضي منها أيضا ستة
 شهور قبل أن تخترع الكتابة التي تم باختراعها وضع
 أساس من أسس الحضارة . ثم ثلاثة شهور أخرى
 للوصول بالأدب والفن والفلسفة إلى تلك القمم التي
 بلغناها . ثم شهران للحياة في ظل المسيحية .

ولم يتطلب ظهور الطباعة غير ليلة واحدة . وآلة
البخار غير أسبوع . ويومان أو ثلاثة لتخوض
البواخر عرض البحار وتقطع القطر شاسع البقاع .
ولم يبق بعد ذلك غير يوم واحد استكشفت في ليلته
البارحة اعاجيب الكهرباء . وأخيراً لم تبق غير
ساعات معدودات كانت كافية لحرق الملاحة في الجو
وتحت الماء واستخدام أحدث المخترعات لاثارة
حروب عظمى تتمكافاً مع تلك الوسائل الجديدة
الهائلة « ... ولأتم قول هذا العالم الأمريكي
قائلاً : حروب عظمى قديرة ان تدمر الانسانية
وتعيدها من جديد إلى حيث كانت منذ عام .

...

هذا التقدير العجيب لعمر المدنية الحقيقية في

حياة الانسانية ينبغي أن يملأنا قلقا على مصير
الحضارة . انها اذن ليست تراثا اصيلا كما نظن .
انها ليست ملكة متأصلة فينا كما نحب ان نتصور .
انما هي حدث جديد لم يقع في حياتنا البالغة الحسنيين
إلا منذ ستة شهور . افيستغرب اذن اذا عصف
القدر بهذا الحدث وارجعنا إلى حيث كنا منذ عام
على الأقل .

نعم . حتى حياتنا اللامعة خلال هذه الشهور
الستة الأخيرة ليست في مأمن من طغيان ذلك
الخضم الهائل من عشرات الأعوام السابقة . ان
ربح تلك الأعوام المظلمة ما تفتأ في كل لحظة تهب
على هذه الشمعة الضئيلة التي تنمو في ضوءها المرتجف

حضارتنا الناشئة . آه ، ان قوة الأرض والدم
لخيفة حقا . انها لتستطيع ان تجذبنا اليها في كل حين
كلما اردنا ارتفاعاً . !

...

يحمل العلم الحديث احيانا بذلك الاختراع الذي
يخرجنا عن جاذبية الأرض ، لنلحق بالكواكب
الأخرى . أما ينبغي له ان يفكر قبل ذلك في
اختراع آخر اعظم واجدى على الإنسان : ذلك
الذي يخرجنا عن جاذبية الأرض والدم في عالم تركيبنا
الحيوانى ، لنلحق بالانسانية العليا التى يتصورها
الفكر المجرد ويحسها الروح الطليق ؟

...

ما دمنا نعيش هكذا تحت سلطان جاذبية الماضى

الهائل : جاذبية تسع واربعين سنة او (٥٤٩٠٠٠ سنة
 بالحساب شبه الحقيقي) : حياة حيوانية تعيش
 على الفتك والصيد وشرعية الغابة ، فكيف نأمل
 بهذه السرعة في حياة ارق تسودها شرعية غير
 شرعية الغابة ؟

...

يقول ألدس هكسلي : لا أحد يطلب اليك
 ان تكون شيئاً آخر غير مجرد إنسان ، أى لا ملاك
 ولا شيطان . إنسان أى ذلك المخلوق الذى يمشى
 بمهارة على جبل مشدود ، عن يمينه العقل والفكر
 والضمير وكل ما دخل فى نطاق العالم الروحي ،
 وعن يساره الجسد والغريزة والدم وكل ما دخل فى
 نطاق العالم الحيواني . التوازن هو كل المطلوب .

وهو أمر عسير المنال .

...

حقا هذا التوازن عسير المنال . كم من الملايين
وكم من الأجيال تسقط في الهاوية اليسرى . أما
الهاوية اليمنى فلم يقع فيها غير قليل من الأنبياء
والقديسين والفلاسفة والشعراء .

...

في تاريخ الانسانية عهد صغير مزدهر هو حقاً
من مفاخر الانسان . ذلك هو عهد الاغريق .
اترى الاغريق هم الذين استطاعوا أن يمشوا في توازن
عجيب فوق الجبل المشدود ؟

...

ربما كانت فكرة التوازن لا يتميز بها العهد

الأغريق وحده . فالحضارة الإسلامية في عصورها
الزاهرة هي خير مثال يقدم للتوازن العجيب فوق
هذا الصراط المستقيم .

إن معجزة الأغريق في الواقع هي أنهم لأول
مرة في تاريخ البشرية حاولوا التخلص من جاذبية
الماضي . إذا ذكر الأغريق ذكر عهد ظهور التفكير
الحر والتأمل المجرد . أى ذلك التفكير الذى لا تحده
تقاليد ولا ساطات ولا اديان ولا حتى لغات قديمة .
كان « ييرون » يقول عن الأغريق : لم تكن لديهم
عصور قديمة للمعرفة ولا معرفة للعصور القديمة .

ان النوع البشرى محافظ بطبعه كما يرى

روبنسون : « فهو لا يفتأ يضع لنفسه قيوداً ، هي التي
 اقعدته في طور البربرية كل هذه الأجيال الساحقة
 التي عاشها على الأرض ، بل هي التي ما تزال تعمل
 على استمرار بعض مظاهر البربرية حتى في مجتمعنا
 الحديث . فالرجل المحافظ هو على وجه عام رجل
 أدنى من غيره إلى الحالة البربرية الأولى » إذا كان
 في التاريخ اذن شعب « غير محافظ » فهم الأغريق :
 انهم شعب « الحرية » المختار !

(شعيريل نوت)

خبر القنادس

شاعر

صبري

ان العقل البشري بلغ في عهد الأغريق اكتمال
 تألقه ، لأنه تفتح لهواء « الشك » . إن « الشك » هو هواء
 العقل الذي يتنفس به . لأول مرة استطاع الإنسان
 حقاً أن يدع هذا الهواء يعبث قليلاً برفات تقاليده

بالزحالة

المقدسة . ولأول مرة استطاع الإنسان حقاً أن
يخرج بتفكيره قليلاً عن نطاق جاذبية الماضي ،
ليتأمل ويخلق بعيداً عن سيطرة الأيمان بالماضي .

...

علي ان العجيب في الأمر هو ان البشرية التي
عرفت هذا التآلق الفكري استطاعت ان ترجع بعد
ذلك الى ظلام القرون الوسطى . وتركت فضاء
«الشك» لتدخل من جديد حظيرة «الأيمان» . اترى
حياة الانسانية كحياة الانسان ؟ اترأها مثله تخرج
من النهار الى الليل ، ثم تعود الى النهار من جديد ،
ثم تدخل في الليل مرة أخرى ، وهكذا الى نهاية
الدهور ؟

نعم ، بعد نهار الاغريق جاء ليل القرون
الوسطى . لكن . . . ليس كل ليل ظلاما . فقد
يخيم الظلام على أول الليل ثم يطلع القمر وتتصاعد
الأحلام من جوف القلب فتملأ الوجود جمالا
ونورا من نوع آخر . كذلك القرون الوسطى ، لم
تعرف الظلام الحال كإلا في أول عهودها . ثم تأججت
العقيدة الدينية في النفوس واستيقظ القلب فابدى
جمالا وشعرا له مكانه إلى جانب الجمال الذى أبدعه
العقل فى نهار الاغريق .

وقبل نهار الاغريق ماذا كان ؟ كان ليل مصر
القديمة القمر الجميل . كانت حضارة عجيبة كأنها
أحلام العماقة ، خرجت هى الأخرى من وحى

القلب وحرارة العقيدة والأيمان .

...

وبعد ليل القرون الوسطى ، ماذا حدث ؟ ظهر
من جديد فجر عصر النهضة وأخذ يتألق بضوء العقل .
انها شمس الأغر يق طلعت مرة أخرى في عصر النهضة ،
فما عهد احياء العلوم وبعث التفكير الأغر يق إلا نهار
جديد طلع بعد انصرام الهزيع الأخير المقمر من
ليلة القرون الوسطى .

...

أهي أستار تتعاقب على مسرح الوجود الدائر
تلك القوى الخفية التي نسميها الغريزة والقلب
والعقل ؟ اترأها تلعب في حياة الانسانية الدور
الذي يلعبه الظلام والقمر والشمس في حياة الإنسان

اليومية ؟

...

هؤلاء هم بالضبط أبطال مسرحيتي «شهرزاد»
فالظلام هو «العبد» والقلب هو «قمر» والعقل هو
«شهریار». وان حركتهم حول «شهرزاد» هي
حركة الانسانية كلها حول الطبيعة .

...

هل الانسانية اذن تدور دوران الفصول ؟
لقد اجاب شهریار : «كل شيء يدور . تلك هي
الأبدية . يا لها من خدعة ! نسأل الطبيعة عن
سرهما فتجيبنا باللف والدوران !» نعم انها تدور
دوران اليوم الكامل : ظلام وقمر ونهار ثم ظلام
وقمر ونهار .. وهكذا دواليك إلى نهاية الدهور .

...

ان فكرة التقدم العقلي المطردهى من أوهام
العقل . انها سراب شمس العقل فى صحراء آمالنا
الواسعة ، إن الخط المستقيم لا يعرفه غير العقل .
أما الطبيعة فلا تعرف غير محيط الدائرة .

...

لو عرف الانسان نهارا لا ليل له يمتد بضعة
أعوام ، لعرفت الانسانية مثل هذا النهار فى صورة
حضارة فكرية ممتدة الى آلاف الأعوام لا
يعترضها ظلام الغرائز ولا أحلام الأيمان .

...

هذا النهار الطويل للانسانية لو وجد لكان
محرقا لكثير من فضائل الانسان .

cf Sente : Huis clos

حضارة اليوم الحديثة هي من غير شك نهار
 للانسانية • نهار بزغ في عصر النهضة وإحياء العلوم •
 واستمر متألّقا بكل أشعة العقل الانساني • انه النهار
 الثاني بعد نهار الأغريق الأول •

من العجيب انه في كلا النهارين بدا مظهران
 من مظاهر التحرر لا للفكر وحده بل للمجتمع •
 ففي نهار الأغريق عرفت الانسانية الديموقراطية وفي
 نهار العصور الحديثة عرفت الانسانية حقوق
 الانسان •

في ليل الانسانية المظلم أو المقمّر لم يعرف قط

مثل هذا التحرر الذاتي والتيقظ الاجتماعي . اليس
ان الليل مقترن بالنوم والأحلام والأستسلام .
والنهار مقترن باليقظة والشعور بحقوق الذات ؟

...

ما بعد حضارة اليوم الحديثة ؟ ما مصير هذا
النهار ؟ أترى مصيره مصير كل نهار ؟

...

هل نستطيع أن نتبين في الأفق جحافل
الظلام المغيرة على هذا النهار ؟

...

اولئك الشعراء الذين قرنوا الظلام بالجحافل لا
شك مصيبيون . لا شيء يستطيع اطفاء مصباح
الفكر غير يد القوة المادية . هكذا بدأ النور في الفتور

منذ اقتربت من مصباح ائتنا كف «فيليب» .

...

يقول الباحث الفرنسي جان رويستان : اذا قدر
لهذه الحضارة أن تتحطم غدا عن آخرها لكان على
الإنسان ان يعيد بناء كل شيء من جديد مبتدئا بما
بدأ به منذ نيف ومائة أو مائتين ألف من الأعوام .
فكل ما قام به على مر الدهور من اعمال وما عاناه من
جهود وما قاساه من آلام لا نفع فيه ولا غنى . وهنا
الفرق الهائل بين حضارة الإنسان وحضارة
الحيوان . ان شرذمة من النمل المنعزل عن العشيرة
في امكانها أن تنشئ عشيرة أخرى تامة التكوين .
لكن شرذمة من الادميين انزلوا عن البشرية لا
يستطيعون ان ينشئوا مجتمعا بشريا إلا في صورته

البربرية الأولى . إن حضارة النمل منطبعة في صميم
خواص الحشرة . أما حضارة الانسان فهي ليست
مستقرة في صميم طبيعة الانسان . بل هي مستقرة
في خزائن المكتبات العامة وقاعات المتاحف
ونصوص الشرائع

من المحتمل إذن أن تدك القنابل هذه المتاحف
والمكتبات وأن تعبت يد القوة المادية بالشرائع ،
وأن تضع كفها على أفواه الناطقين بالعلم ، وعلى
أبصار الباحثين عن الحقيقة ، فإذا حضارة الانسان
قد تلاشت ، وإذا البشرية تعود سيرتها البربرية
الأولى . أو لم يحدث بالفعل منذ قليل أن حرق
الكتب والمؤلفات وطرد العلماء والمفكرون (اينشتين
وفرويدومان الخ ..) ؟

مهما تكن الاسباب والظروف ، فان في مجرد امكان
حدوث ذلك في هذا العصر لنذيرا وإشعارا بامكان
عودة الظلام .

...

الانسان مخلوق مؤمن بالطبع . في كل مراحل
نرى حب التقديس . فالوثنية تقديس القوى
الأرضية . والأديان السماوية تقديس القوى الروحية
والعلم الحديث تقديس القوى الفكرية .

...

والاسراف في الإيمان يؤدي إلى الطغيان ،
والطغيان إلى الانهيار . لقد زلزل العهد الوثني
طغيان الكهنة والتيجان . والعهد المسيحي طغيان
الكنيسة . والعهد العالمي الحديث طغيان الصناعة

La l'Age de Raison الكبرى

إن « الصناعة الكبرى » هي « كنيسة » العلم الحديث .

لقد أرانا التاريخ كيف أن طغيان الكهنة والتيجان في الأرض جعل الانسانية تلتبس الخلاص والحرية في السماء . وكيف أن طغيان الكنيسة باسم السماء قد جعل الانسانية تلجأ إلى الخلاص والحرية في نور العقل والعلم البشري . بقي أن نعرف أين الخلاص من طغيان كنيسة العلم الحديث : الصناعة الكبرى ؟

إن كنيسة العلم الحديث بكرادلتها

الرأسماليين لتتفتح أبوابها على جهنم الغرائز الأولى
نعم . نحن في نهاية الدائرة . أسوف ندور دورة
أخرى من جديد ؟

... Tawney

يقول العالم الاقتصادي « ر . ه . توني » : إن
كارثة حضارتنا اليوم ليس مرجعها كما يظن الكثيرون
سوء توزيع الانتاج الصناعي . بل مرجعها الصناعة
نفسها . الصناعة التي تبوأَت مركزاً يطغى على كل
شأن من شئون البشر . ان هذه الحمى الاقتصادية
سوف تبدو للأجيال القادمة خليفة بالثناء كما تبدو
لنا اليوم حمى الممارك الدينية في القرن السابع عشر .

...

انه لمن المخجل كما يقول « جيمس روبنسون » :
أن نخضع اليوم الحياة كلها لمقاصدها المادية على

النحو الذى كان عليه أجدادنا المتوحشون يوم عاشوا
 فى طور التكالب على ثمار الأشجار وجذور النبات
 وجلود الحيوان .»

...

حقا ، لم يعد المكان الأول فى حياة البشرية
 للقيم الروحية . بل لم تعد للقيم الفكرية ذاتها ذلك
 المكان . انما القيم الاقتصادية هى اليوم كل شئ .
 القيم الاقتصادية كانت هى أيضا كل شئ فى حياة
 القبيلة الأولى المتوحشة .

...

فلنستمع كذلك الى قول « كيسرلنج » : الخط
 البارز والمظهر الغالب للعصر الحاضر هو «الاقتصاد»
 أى «الغذاء» أى «مطالب الأرض والدم والجنس

والبيئة « . أى أن كل شىء اليوم خاضع للشطر « غير
الروحي » للكائن البشرى ... هذه الحضارة ما كانت
تستطيع أن تنتهى إلا إلى هذه النهاية « غير
الانسانية » ما دامت تؤدى على هذه الصورة المخيفة
إلى سيادة الآلة على الحياة ، وإلى طغيان الحساب
والأرقام ، وإلى تقويض كل سلطان إلا سلطان الكم
والعدد ... إن روح هذا العصر (الصناعى
الاقتصادى) هى روح الكتل من الدهاء والسواد .
وعصر السواد والدهاء هو فى الحقيقة عصر الزعماء .
فالكتل لا تعمل أبدا بذاتها . إذ كلما كثر العدد
احتاج الأمر إلى تنظيم ومنظمين . وأصبح المنظم
أو الزعيم هو القابض على زمام القطيع وهكذا تمنح
السلطات شبه المطلقة لمن ينظم الملايين . وهؤلاء

الزعماء المنظمون هم دائماً من طراز «المروّضين» لا من
 طراز «القادة الروحيين». والمروّض هو من يؤثر
 في تابعه عن طريق «الأيحاء» مجبراً إياه على طاعته
 دون أن يشعره أنه قد سلب إرادته...

...

نحن إذن في طريق العودة إلى المجتمع البشري
 الأول الوثني، حيث كانت الجموع تخضع لسلطان
 الرجل القوي الذي يستطيع تخدير أحلامها والتأثير
 في أعصابها.

...

ما دمنا في عصر الزعماء (المروّضين) فلن يكون
 هنالك محل للكلام في الحرية. لأن المروض سيجان
 قبل كل شيء.

١٩٢٥
٢٠٦٥
الافغانى
الرد على المومنين
...
fee

هنا السر في أن الزعماء المروضين يضطهدون
(الأديان السماوية) لأنهم يريدون حبس جموعهم
داخل تلك الحظيرة التي يسهل فيها التأثير في أعصاب
القطعان : حظيرة الغرائز بسياساتها المفتول من
(الوطنية والجنس والدم) . ولما كانت الأديان تحارب
الغرائز وتسعى إلى إطلاق الناس من هذه الحظيرة
إلى فضاء الإنسانية والأخاء الآدمي ، فقد عدها
المروضون أخطر خصم لما ربهم .

...

هنالك سبب آخر لرغبة الزعماء المروضين في
صد جموعهم عن الأديان : انهم لا يريدون لجموعهم
أن تقدر شيئا آخر غير الزعيم . إن شخص الزعيم

هو الذي حل وينبغي أن يحل محل الدين في قلوب
التابعين . وتلك هي العودة إلى الوثنية .

H. J. M.

...

كذلك يمتك الزعماء المروضون العلماء
والأساتذة والفلاسفة وأصحاب التأمل الطليق
والفكر الحر ممن يدينون بمبدأ (العلم للعلم) أو (العلم
للإنسانية) ، ويرونهم غير جديرين بالبقاء إلا إذا
خضعوا لمبدأ (العلم للوطن) أي العلم في خدمة
الجيش والعسكرية والاستعباد وسيادة الجنس والدم .

...

لقد سألتني سائل ذات مرة عن مبدأ (العلم
للوطن) فقلت :

« لا يمكن أن يكون العلم للوطن ولا لشيء آخر »

في هذا الوجود . إنما العلم لنفسه . فهو المعرفة
 الخالصة والرغبة المحرقة في استجلاء كنه الأشياء .
 وإن العلم إذا اتخذ له غرضاً غير نفسه تغيرت في الحال
 صفته ولم يعد يسمى علماً ، مهما يكن الغرض الذي
 يتجه إليه نبيلاً . فالعلم قبس من نور الله . وليس لله
غرض إلا ذاته المطلقة .

ولكن تطبيق العلم أو العلم التطبيقى شيء آخر
 فان للوطن وللصناعة والتجارة الخ . . أن تستفيد من
 نتائج العلم وتستخرج منها المنفعة التي تريدها .
 فالعلماء الحقيقيون لا يطبقون العلم . إنما يعيشون
 حياتهم للمعرفة المجردة لا يبتغون من وراءها غير
 مجرد الدنو منها . تلك لذتهم الكبرى . أما رجال
 الأعمال الذين يأتون بعد ذلك لاستغلال نتائج هذا

the fact is same about politics.
 we have direct political opinion only
 we have no indirect political opinion

P. 54

P. 36

العلم فليسوا من العلماء وان درسوا العلم دراسة
 عميقة . وإن للعلم ككل شيء في هذا الوجود أوقات
 علو وأوقات انحطاط . ولا ينحط العلم إلا في وقت
 ترغمه فيه قوة غاشمة على السير في طريق مرسوم
 لمصلحة وطنية أو مالية . فالعلم طائر حر كالشعر
 ومن قرأ تعريف (اينشتين) للعالم الحقيقي أدرك تمام
 الإدراك أن حياة العلم لا تكون إلا باطلاقه في جو
 الحرية المطلقة . والعلم والوطنية لا يمكن أن يتفقا .
 لان الوطنية هي الأنانية في المجموع . والأنانية
 عمياء . والعلم هو البصر المنزه بحقيقة الأشياء . فمن
 أراد من العلم أن يعيش بنصف عين كي لا يرى غير
 مصلحة دولة واحدة وجنس واحد فهو من غير شك
 قد مسح (العلم) (فردا) يمشي ويرقص تحت عصا

مروضه .

...

كل فكرة متصلة بفكرة (الدولية) متجهة إلى
(الإنسانية) مبشرة بالسلام ، حاضنة على (اللاعسكرية)
هي خطيئة الخطايا في أعين الزعماء المروضين .

...

تلك هي أعنف صدمة هزت نفسي في السنوات
القلائل التي تلت الحرب الكبرى الأخرى . لقد
كنت ممن يؤمنون باطراد التقدم الإنساني . لقد
كنت أتابع وقتذاك آمال الساسة والكتاب في جمعية
الأمم والسلام ، وأطالع آراء ماركس وتلاميذه
في (الدولية) و (اللاعسكرية) . لقد كنت غارقاً أنا
أيضاً في تلك الأحلام التي نسجها لنا هداة البشر

وقادته الروحانيون من الرسل والشعراء والمفكرين .
 لقد كنت موقفاً بأن الأوان قد آن عقب تلك
 الحرب لزوال الحواجز بين الأمم والأمم ، وانقضاء
 عهد القبائل الوحشية المتنافرة التي يسمونها اليوم
 (دولا) تغير احداها على الأخرى ، مدفوعة بمطالب
 الأرض والدم والجنس ، واتجاه البشرية أخيراً إلى
 تحقيق ذلك المجتمع الأنساني الأعلى الذي يجعل من
 سكان هذا الكوكب اخوة أحراراً . لقد ظننت أن
 تلك الحرب العظمى بفظائعها ومخازيها قد ردت
 البشر . اكن ... واأسفاه ! فوجئت بما هالني :
 لقد ارتدت البشرية بغتة إلى الوراء ، وإذا من كنا
 نحسبه انساناً متحضراً أخذنا بأسباب السمو قد عاد
 يصيح صيحات الغابة ، معلنا العودة إلى غرائز الدم

والجنس . وخفت صوت القائلين (بالدولية) و
 (اللاعسكرية) ، وارتفع صوت الناعقين بشريعة
 القوة المادية وحق الأقوى في سحق الآخرين
 وسيادة العالمين .

...

عجيباً ! أترى الانسانية لا تتقدم في حقيقة
 الأمر ولا تتأخر . أتراها حقاً تدور في تلك الحلقة
 المفرغة : غريزة وقلب وعقل ثم غريزة وقلب وعقل
 ... الخ وهكذا في حركة دائمة كحركة الكواكب في
 مجموعاتها الشمسية ؟ في ذلك الوقت تيقظت في نفسى
 فكرة قصتي « شهر زاد » . « شهر زاد » هي مأساة
 الشك في اطراد التقدم الانساني في خط مستقيم .

continuity

...

إذا كنت أشك في التقدم الانساني ، وأرى
 أن دورة الانسانية تسير بمقتضى قانون شبه فلكى
 لا ينحرف قيد شعرة كقانون الشمس والقمر
 والظلام ، فأى جدوى فى نشر هذه الصفحات وفى
 إطلاق الصيحات ؟

...

الحقيقة أن عقلى يشك ولكن قلبى يؤمن . إن
 قوة العقل الشك ، وقوة القلب الإيمان . والانسان
 هو الفريسة التى تتصارع فوق جسدها هاتان
 القوتان . ان روح « المأساة » هى الصراع . ولقد
 أدرك شعراء المأسى الأغريقية أن أروع صراع هو
 ذلك الصراع القائم دائماً بين الانسان وتلك القوى
 العليا الخارجية التى يسمونها « القدر » و « الآلهة » .

أما أنا فقد رأيت مأساة الانسان والانسانية في ذلك
 الصراع الدائم بين تلك القوى الداخلية : العقل
 والقلب . لذلك كتبت قصتي «أهل الكهف» .
 «أهل الكهف» هي مأساة الصراع بين العقل الذي
 يشك والقلب الذي يؤمن .

...

نعم ، إن عقلي يشك ولكن قلبي يؤمن . ما من
 رجل أحب الإنسانية استطاع لحظة أن يشك
 في امكان تقدمها وسموها . إني أعتقد انها تتقدم ،
 ولكن مثل تقدم المجموعة الشمسية في الفضاء . كل
 كوكب فيها يدور حول نفسه وحول الشمس ،
 ولكن المجموعة كلها تسير مع ذلك في فضاء اللانهاية .

...

نعم . لقد لبثنا حقيقة في حياة الصيد ٤٤٩٠٠٠ سنة ، ولكن أى خطوات هرقلية خطوناها بعد ذلك في القرون القليلة الأخيرة ! إن ساطان الظلام يهددنا من آن لآن ولكن القيم التي كسبناها قد كسبناها . إن الحرية والجمال الروحي والفنى والفكر الطليق وحقوق الانسان ، كل اولئك أشياء لا يمكن للإنسانية أن تنزل عنها أو تنساها . قد تعصف بها حيناً بعد حين عواصف القوى الأرضية ولكنها لن تستأصل جذورها التي تنمو وتمتد في أعماق النفس البشرية .

...

علينا إذن نحن جنود القوى الروحية والفكرية أن ننشر الصفحات وأن نطلق الصيحات ، كما شئت علينا الغارات جيوش القوى الأرضية والحيوانية .

دفاع القوى الروحية والفكرية

منذ أدركت أن الحرب حرب القوى الأرضية
وأن السلطان سلطان الظلام ، وأن الأمر للزعماء
المروضين ، رأيت الدفاع منوط بالقوى الروحية
والفكرية ، وسلطان النور ، والقادة الروحيين .

...

على أن الذى هالنى حقا هو ذلك الأثر الذى
أحدثه طغيان القوى الأرضية فى بعض رجال الروح
والفكر أنفسهم . عند ذاك بادرت بنشر تلك الكلمة

التي عنوانها (فيران السفينة) ^(١) موجهة إلى أولئك
الذين كانوا البارحة يتشدقون بذكر النور والحرية
والفكر والمدنية الخ . فلما هزت يد القوة البربرية
هذه الهياكل ، هرعوا مذعورين إلى الجانب الآخر
يمجدون القوة الغاشمة ويعبدون الطغيان . هؤلاء
الذين خدعونا وخدعوا أنفسهم يوم لبسوا مسح
المؤمنين بالقيم العليا للإنسانية ، فاذا هم فيران في
سفينة الحضارة والحرية يمرحون في أرجائها وهي
بحير . فلما شموأ ربح الخطر انسلوا يبعثون الفرار
منها ولو على ظهر حطامها . ثم هاهم أولاء يقفزون
إلى سفينة القرصان ، يتخذونهم آلهة ومثلا عليا ،
ويضعون تحت أقدامهم عين الأزهار التي جعلوها
من قبل على هام تماثيل الحرية المجيدة . إلى أولئك

(١) جريدة الاهرام منذ نحو عام

الخارجين على قوى الروح والفكر أوكد عقيدتي
الدائمة في هذه الكلمات : (انى ازدرى وسأزدرى
دائما القوة الوحشية فى ذاتها . وانى أدعو وسأدعو
دائما الى القوة الفكرية والمعنوية التى تنتج القوة
المادية الخصبة الخيرة الكفيلة بتنمية مواهب الانسان
وفضائله وضمان حرياته وحقوقه وتمكين النوع
البشرى من الاستمرار فى الرقى ! فى سبيل هذا
وحده أعيش وأعمل كما يعيش جنود الفكر والروح
ويعملون . وإنى أعلن هذه العقيدة ولى الشرف
العظيم أن أموت يوما من أجلها . وأن أغرق معها
إذا غرقت . فلا خير فى صاحب فكرة أو عقيدة
لا يموت بموتها .

لقد تمنيت في نفسي لو ان في المقدور توحيد
صفوف رجال الفكر والروح في كل شعب وأمة .
فأمام كتل الظلام يجب أن تقف كتل النور . من
أجل ذلك نشرت نداء إلى رجال الفكر ^(١) أقول
فيه : لا ريب أن رجال الفكر في مصر قد تأملوا
مليا تلك الخطبة التي ألقاها (سمير ويلز) عند انتهاء
المؤتمر العالمي للأمم الأمريكية مشيرا فيها إلى ليل
العصور الوسطى وفجر عصر النهضة وما تبعه من
حركة إحياء العلوم ، إلى أن قال : ليس في مقدورنا
أن نتكهن بشيء عن احتمال العودة مرة أخرى إلى
ظلام القرون الوسطى ، على الأقل فيما يتعلق
بشئون الفكر والروح ، في بلاد أصبح البحث

(١) جريدة الاهرام ٢٠ مايو ١٩٤٠

الحر فيها مستحيلا . . . الخ ، ثم تمنى أن يزول شبح
 هذا الخطر الدائم على الحضارة ، ودعا الولايات المتحدة
 إلى واجب الذود عن مدنية تدين لها بخير ما عندها .
 هذه الصيحة القلقة على مصير الفكر المطلق ، لا بد
 أن يكون لها صدى عميق في نفوس مفكرينا
ومفكرى الشرق الباعث لحضارة البحر الأبيض .
 ولئن كان صوت أقدام القوة الوحشية وهى تسحق
 الأمم الحرة لم يزعج بعد رجالنا السياسيين المتنابذين ،
 فان نذير الدمار المساط على شئون الفكر والروح
 كفيلا أن يوحد جهود رجال الفكر وأن ينهضهم
 متساندين للدفاع بأقلامهم وقلوبهم عن حضارة ساء
اسلافهم فى وضع أحجارها الأولى . فالى اخوانى
 المفكرين والأدباء أوجه هذا النداء . وإن العبرة التى

تستخلص من قيامهم الآن قومة رجل واحد ،
وارتفاع أصواتهم في صيحة واحدة قد يكون لها
أعظم الأثر في توحيد صفوف أخرى طالما انتظرتها
البلاد .

...

في اليوم التالي نشرت إحدى الصحف اليومية^(١)
مقالا طويلا جاء فيه : « ونحسب دعوة الكاتب
جماعة المفكرين إلى الدفاع عن الحرية الفكرية ضد
الدكتاتورية . . . قد جاءت ممن كان آخر الذين ينتظر
منهم الحماسة للديموقراطية والحريات المقررة في
الساتير لأنه سبق أن طعن فيها وتحامل عليها
... الخ »

(١) جريدة المصري ٢١ مايو ١٩٤٠

فوضىلا

وهذا صحيح . على انى بعثت إلى هذه الجريدة
أقول ^(١) « إنى يوم انتقدت الديموقراطية ، لم أفعل
أكثر من أولئك الكتاب الديموقراطيين الذين
هبوا فى فرنسا وانجلترا يحملون على بعض مثالب
هذا النظام مشبعين بروح الرغبة فى علاج الداء
وتقوية الضعف . على أن كل طعن وكل نقد لأى مقصد
من المقاصد ينبغى أن يزول فى الحال . وقد زال فعلا
عندما بدا للجميع أن الديموقراطية باعتبارها مبدأ
إنسانيا مهددة فى صميمها بالزوال ، وأن شبح الطغيان
القائم بدا فى الأفق ينذر الناس بأن أفواههم ستسكن
وأن حق تفكيرهم سيانغى بعد اليوم ، وانهم محكوم

عليهم أن يعيشوا طول الحياة آلات وأدوات
تتحرك بمشيئة طاغية . هنا تتلاشى الخلافات
والانتقادات . ولا يبقى لكل رجل حر أو صاحب
قلم وفكر إلا أن ينهض ذائدا عن الديمقراطية ناسيا
إلى حين مأخذها ، فهي النظام الوحيد الذي يستطيع
في ظله أن يعيش فرد ذو كرامة . وإذا ذهبت
الحرية فاجدر بالحر أن يموت .

...

هل أنا كاتب ديمقراطي ؟ الحقيقة انى لست
ديموقراطيا بالمعنى السياسى لهذه الكلمة . انى لا
أستطيع أن انتمى إلى الديمقراطية باعتبارها نظاما
سياسيا أو حزبيا . لأن الحرية الفكرية والروحية
التي هي كل مسوح المفكر الحر الحقيقي تمنع من

الانحراف فى سلك حزب أو نظام قد يضطر إلى
الدفاع عنه بالحق وبالباطل . انى لا أستطيع أن
أدافع قط عما أعتقد أنه الباطل . ولا أستطيع أن
أخدم شيئاً قط غير ما أعتقد أنه الحق . وهو لن يكون
إلا فى المبادئ . المبادئ العليا الخالدة البعيدة عن
الأشخاص الزائلين . إن الذى أؤمن به إذن وأدافع
عنه دائماً هو الديمقراطية باعتبارها مبدأً إنسانياً لا
نظاماً سياسياً . الديمقراطية الموجودة فى قلب كل
إنسان يقدر معنى « حقوق الإنسان » ومعنى « الحرية »
و « الكرامة الآدمية » .

...

الكاتب الحر الحق هو الذى يبقى بعيداً عن
الحركات الحزبية والسياسية كى يستطيع فى كل

الحق والعدل
أدب

وقت أن يدافع بمطلق الحرية عن المثل العليا الانسانية .
ولا يؤازر المذاهب والأشخاص إلا على قدر احتفاظها
بروح هذه المثل .

...

لذلك لم أستطع أن أغمض عيني على بعض
النظم السياسية المنتمية إلى الديموقراطية يوم تطرق
اليها الفساد وعبت بها الساسة المحترفون .

...

في قصتي « براكسا أو مشكلة الحكم » سخرية
ببعض مظاهر الحكم الديموقراطي ، وسخرية ببعض
مظاهر الحكم الدكتاتوري . وليس فيها حل لمشكلة
الحكم . لماذا ؟ لأن هذا ليس من مهمة الكاتب
الحر .

...

إن الكاتب الذى ينشئ مذهباً سياسياً يتمسك به ويكبل فكره بنصوصه ، مثله مثل الكاتب الذى ينضم إلى مذهب سياسى قائم . كلاهما قد فقد النظر الحر إلى بقية المذاهب والأشياء ، وقص أجنحته التى يحلق بها فوق الكائنات ليقع محصوراً فى حظيرة فصيلة من الفصائل أو نوع من الأنواع .

...

الكاتب الحر فى نظرى هو الحكم النزيه فى
حلبة اللاعبين . انه هو الذى يحصى الأخطاء بغير تمييز ولا تحامل . وهو الذى يفضح ستر الخارجين على أصول اللعب القويم . وهو الذى ينبه الغافلين إلى كل خطر يدنو من قواعد المثل العليا .

...

الكاتب الحر هو الحارس الأمين لجواهر
الفضائل الانسانية .

...

للكاتب الحر مهمة ايجابية أيضا . فهو قد
يستطيع أن ينشئ للانسانية نظما وعوالم مثالية ، وأن
يرسل في الأجيال أفكارا ومبادئ تصالح أساسا
لمذاهب عملية في السياسة والأجتماع . ولكنه لن
يكون مسئولا عن كيفية استخدام أفكاره ولا عن
الأشخاص الذين وضعوها موضع التنفيذ .

٢٣٧

...

التفكير الحر هو التحرر من كل القيود إذ
بمجرد التقييد تتعطل في الحال آلة التفكير الحر .

...

التفكير الحر قد يستطيع أن يتحرر من كل
مبدأ إلا من مبدأ حرية التفكير .

...

لذلك كان النضال بين أحرار المفكرين وبين
الزعماء المروضين هو نضال حياة أو موت .

٣

في طريق التحرر من سلطان الظلام

أول خطوة في طريق التحرر من سلطان
الظلام هي القضاء النهائي على رغبة القوى في الوثوب
على الضعيف .

...

قانون الغابة الذي لم يزل يسيطر على المجتمع الدولي ،
يجب أن تحل محله القوانين الخلقية والوضعيات التي تنظم
كل مجتمع متحضر لامة متحضرة .

...

ترتفع اليوم أصوات جميلة كأنها أهاليج الطير
 قبيل الفجر الجميل . لقد سرتني قول روزفلت في
 إحدى خطبه : لم يكن في العالم ولن يكون فيه عنصر
 يصلح أن يسود غيره من العناصر الأخرى . وليس
 في العالم مكان لأمة تزعم لنفسها حق السيطرة على
 بقية الأمم والأجناس لا شيء إلا لضخامة حجمها
 وقوة جيوشها . إن لكل شعب مهما يكن صغيرا
 حقا موروثة في التمتع باستقلاله كما يشتهي ويريد .

...

سرتني أيضا آراء ويلز في حقوق الإنسان كما
 عددها وتمناها ، ونظراته في مستقبل الإنسانية ،
 وتصوراته فيما ينبغي أن يكون عليه عالم الغد .

..

على أن الذي سرنى أكثر من كل هذا هو أن
قادة الفكر والروح قد أدركوا أن عدوهم الحقيقي
ليس فقط هؤلاء المهرجين من الزعماء المروضين .
أمر هؤلاء هين ميسور . والقضاء عليهم مرهون
بوقت يسير . إنما العدو الأكبر هو « دين العصر »
الرابض وراء الجميع : « الاقتصاد الحديث » .

...

لا أمل في إصلاح العالم إلا إذا عولج شقاء
الملايين في كل أمة من الأمم . من أجل ذلك لم
يستطع حتى الزعماء المروضين أنفسهم أن يعتمدوا على كلمة
« الوطنية » وحدها في التأثير على الجموع ، فقرنوها
بكلمة « الاشتراكية » .

...

إن الصائغ الذى يريد أن «ياحم» ذهباً بنحاس
ليس أقل تزيفاً من أولئك الذين أرادوا أن ياحموا
«الاشتراكية» «بالوطنية» .

...

إن جوهر «الاشتراكية» السليم لا يمكن أن
يقترن إلا بفكرة «الدولية» .

...

إن العالم يتجه الآن من غير شك إلى
الاشتراكية . بل انه قد خطا إليها بالفعل خطوة
واسعة منذ قام فى بريطانيا ذلك الانقلاب الحديث
فى نظام العمل . هذا الانقلاب الذى بمقتضاه يصبح
العمال «خدام الدولة» فلا يستطيع صاحب العمل
فصلهم بمحض إرادته ولا يستطيعون هم أن يتركوا

أعمالهم بدون إذن السلطات ، كما انه يستطيع نقلهم من
مصنع إلى آخر . وتحدد الحكومة الأجور وساعات
العمل ، وتشرف على أرباح رأس المال الخ . بل لقد
قيدت الحكومة أرباح رأس المال إلى حد المصادرة
إذا تعدى الربح رقما مقدراً .

...

إنى لست أرى رأى القائلين أن تلك أنظمة
استثنائية تزول بزوال الحرب . بل إنى أرى رأى
القائلين أن كل ذلك نواة لعالم جديد يتسكون منذ
الآن ليولد صحيح البنیان بعد الحرب .

...

يقول مستر أتلى زعيم العمال واحد وزراء بريطانيا
اليوم : « انطوى العالم الذى كان قبل الحرب .

وسوف تكون الانقلابات التي تجلبها هذه الحرب
مثل الانقلابات التي جلبتها الحرب الماضية في عظم شأنها
وسعة نطاقها . أما الخطط التي يراد بها إنشاء عالم
جديد أقرب إلى الأُنصاف من العالم الذي انتقضى
فلا يصح تركها إلى زمان السلم بل يجب الشروع في
رسمها منذ الآن . انى لأرجو بعد الحرب أن يكون
تقديم الطعام للملأثم لجميع أفراد الأمة جزءا ثابتا من
برنامج السياسة « القومية » . وانى لأرجو أن لا
يسمح بعد اليوم ببقاء صنف « الأغنياء المتعطلين »
ولا أن ينكر حق العمل على الذين يريدون العمل
ويقدرون عليه . وأن يقضى على البطالة القضاء
الأخير » .

لا ريب إذن في أن الاشتراكية هي جوهر لا
بد أن يدخل في تركيب كل نظام سياسي حديث .
وكما استطاعت الدكتاتورية اختراع « الوطنية
الاشتراكية » فما أيسر على الديموقراطيات انشاء
« الديموقراطية الاشتراكية » .

...

ما أسميه هنا « الديموقراطية الاشتراكية » إن
هو إلا هذه النظم الاشتراكية التي قامت اليوم داخل
إطار الديموقراطية . كما ظهرت من قبل بعض مظاهر
تلك النظم داخل إطار الوطنية الدكتاتورية .

...

نحن اليوم إذن أمام حرب « الوطنية
الاشتراكية » و « الديموقراطية الاشتراكية » .

...

«الديموقراطية الاشتراكية» هي من غير شك
صياغة مقبولة لجوهرين متلائمين . لكن «الديموقراطية
شيء والدولية شيء آخر» .

...

إذا كانت كل ثمرات العالم الجديد بعد إبادة
الدكتاتوريات هي تعميم «الديموقراطيات الاشتراكية»
لكان هذا جيلا . لكنه ليس كل ما يصبو إليه
التقدم الانساني . ذلك أن (الديموقراطية الاشتراكية)
هي أيضا ليست أكثر من «نظام داخلي» لكل
دولة من الدول ، وأن كل دولة «ديموقراطية
اشتراكية» تستطيع أن تنشئ لنفسها مطامع
استعمارية وسياسة قومية تقوم على السيادة الخارجية

وبهذا تستأنف الحروب الاقتصادية والدموية بين
الدول « الديمقراطية الاشتراكية » بعضها ضد
البعض .

...

كانت فكرتي منذ أعوام أن « الاشتراكية »
ينبغي أن تأتي من الخارج إلى الداخل . أى أن
تسود بين الدول قبل أن تقر بين الأفراد .

...

الاشتراكية بين الدول فى الانتاج والتوزيع
والقانون والنظام . إذا تم ذلك فقد تم كل شئ تبعاً
لذلك .

...

أهذا حلم بعيد التحقيق ، لا يراه غير خيال

ويلز و برنارد شو ، كنت أظن ذلك قبل أن
أقرأ خطبة رجل رسمي مسئول من أقطاب الحكومة
البريطانية الحاضرة هو « هربرت موريسون » ، فقد
تحدث عن عالم الغد قائلا : (إن الهدف الذي نرمى إليه
هو نظام تعاوني دولي يدعمه بوليس و طيران دوليان
تعيش الدول في رحابه ، مضحية عن طيب خاطر
ببعض حقوق استقلالها ، لتتضافر جميعها في
إخلاص على خلق حياة أرقى وأصلح . ينبغي أن
نعيش في ذلك النظام الذي يمنح فيه كل إنسان لا
فقط حرية القول والفعل بل حرية العمل لأبداع
كل ما هو خصب منتج . ينبغي أن نسير نحو ذلك
المجتمع الذي يرى من ذلك الطاعون المزدوج : الغنى
المتطرف والفقر المتطرف ، نريد مجتمعا يقبل فيه عن

طيب خاطر مبدأ المحافظة على مستوى معقول
للصحة والراحة والطمأنينة والأمن والتهذيب لكل
إنسان (٠٠٠)

...

وبعد ٠٠٠ أترى الانسانية قد فهمت أخيرا
وتعلمت ؟ هل آن الآن وان للانسانية ، التي عرفت
كيف تنفق ملايين الملايين في التدمير والاستعباد ،
أن تعرف بعد الآن كيف تنفقها في التعمير
والأسعاد ؟ هل آن الآن لا عيننا أن ترى الطائرات في
أحدث أنواعها الضخمة كالقلاع ، تنقل بدل أثقال
المفرقات والمهلكات ، أحمال الخيرات والمنتجات ،
ليعم خيرها البشر والكائنات ، دون أن تعترضها
جدارك أو حدود ! أترى أساطيل الهواء اليوم ذات

المظلات البيضاء هي ملائكة السلام غدا ، تهبط كي
تمحو الفواصل التي وضعتها يد البربرية على الأرض
منذ القدم لتحول بين الإنسان وأخيه الإنسان ؟

...

إلى كل من يحمل قلبا نابضا بالأمل في سمو
البشرية ، فياضا بالحب للإنسان والأنسانية أوجه هذه
الصيحات ، وأهدى هذه الصفحات مـ

ت . ا

نظم الموت

إلى أعداء الأنسانية

تفہیم

تفہیم کا نام

جلس (الموت) ذات صباح في قاعة عمله ، إلى
مكتب ضخم يقوم على عظام فيل . ووضع اصبعه
على حجمته مفكرا . وعيناه الغائرتان تنظران إلى
مجموعة أثرية من المناجل تزين الجدران ، وفيه الواسع
ذو الأسنان الصفراء يلوك سيجارا كبيرا منطفئا .
كأنه فرع جاف يتمايل في رأس شجرة نخرة في يوم
من أيام الخريف . كل شيء فيه يدل على القلق
واضطراب البال . ومد يده أخيرا إلى ملف فوق
مكتبه وانتزع منه ورقة . جعل يطالع ما فيها من
احصاءات وأرقام . على مهل وفي شيء من التأمل

العميق . ثم طرحها فجأة نافذ الصبر وصاح :

— هذا افلاس . إن هذا هو الافلاس !

ثم ضغط على زر الجرس الكهربائي وطلب أحدمندوبيه
واسمه (المرض) . فلم يلبث أن ظهر بيباب الحجرة
بوجهه القبيح ذى التجاعيد والبثور وعينه العوراء .
وتقدم في خوف وخجل بقدمه العرجاء . فبادره
الموت قائلا :

— ما هذه الأرقام والأحصاءات التي بين
يدي ؟؟ إن أعمالنا تتناقص على نحو مخيف . وإن
دائرة أشغالنا تضيق عاما بعد عام . إن إرادنا
السنوى من الأرواح التي اعتدنا قبضها قد هبط إلى
مستوى يدعو إلى القلق الشديد !
فتنحنح (المرض) وقال :

— أيها الرئيس . ينبغي أن أعترف لك بالحقيقة
يستحيل على الآن أن أقوم بعمل كما كنت أقوم
به في الماضي . إني كنت على وشك تقديم استقالتى
إليك اليوم .

— استقالتك ؟

— من غير شك ، إذا جال في خاطرك أنى مقصر
أو مسئول عما وصل إليه (الأيراد) من نقص .
إنى ما تركت بيتا إلا دخلته ولكنى كنت أجد دائما
فى انتظارى ...

— ماذا ؟

— أشياء مخيفة يقشعر من هولها بدنى : (حقنة
ذات ابرة طويلة) مسددة إلى قلبى و (مصلى فى
أنبوبة زجاجية) مجهز ليفرغ فى صدرى و (جهاز

أشعة) يعنى بصرى .. كلا . إني لا أستطيع العمل
مطلقا أمام هذه الأخطار . .
— لكل عمل أخطاره . على كل حال . هذا
ليس سببا . . .

— هذا على الأقل سبب معقول لضعف انتاجنا .
فكظم (الموت) غيظه وقال كالمخاطب لنفسه من بين
أسنانه :

— تبا لهذا العلم الحديث . لكنى أعرف كيف
أحطم أساحته . لا بل أعرف كيف أجعل منها
أساحة لى . اذهب أيها المندوب إلى عمالك ودعنى
أتدبر الأمر .

— سأعمل بقدر استطاعتي لا أكثر ولا أقل ..
قالها (المرض) وخرج من الحجرة . وعاد (الموت) إلى

إطراقه . ثم رفع رأسه ومد يده مرة أخرى
إلى زر الجرس الكهربائي وضغط عليه . وطلب
مندوبه الآخر المسمى «الحرب» ... فجاء يدوي بصليب
دروعه الحديدية وضرب الأرض بمحذاته الضخم ورفع
يده بالتحية العسكرية . فبادره «الموت» قائلاً :

— اسمع : إني في حاجة إليك . أنت كما تعلم ،
المعول عليه دائماً في أزماتي ، وينبغي أن أصارحك
في الحال بأنني واقع في أزمة شديدة . أنظر إلى هذا
التقرير وما فيه من احصاءات وأرقام تدل على عجز
وأفلاس . . أنت وحدك ، كما تذكر ، المنوط دائماً
بموازنة ميزانيتنا وتعويض الخسائر الناتجة عن سوء
الأعمال . ففي شهر واحد تستطيع أن ترفع الأرقام
إلى ما يعادل إيراد خمسة أعوام .

نخلع « الحرب » خوذته النحاسية ومسح عرقه
المتصبب وقال :

— أيها الرئيس . إني كنت على وشك تقديم
استقالتى . . .

فدفع « الموت » مقعده إلى الوراء صائحا :
— أنت أيضا ؟ ماذا جرى اليوم فى الدنيا أيتها
الشياطين ! !

فأشار « المندوب » إلى النافذة وقال لرئيسه :
— اذهب وانظر واسمع : نشيد يتصاعد كالدخان
من بطن الأرض ، من كل قلب ، مرتفعا إلى السماء
كأنه غاز خانق يصل إلى أنوفنا . .
— أى نشيد ؟

— نشيد « السلام » . فى كل مكان يتغنسون به .

وفى كل بلد يعقدون له الجلسات والمجتمعات والمؤتمرات
نعم . كل مكان أدنو منه أجـد من يلتقى فى وجهى
هذا الغاز الخائق . لا . إن عملى الآن لا يسرنى
ولا يلدلى . . .

فأطرق «الموت» طويلا ، وقد حار فى أمره ، لا
يدرى ما يفعل . . وأحس الضيق ، فنهض وسار
إلى النافذة الواسعة فى صدر حجرته . وأشرف منها
على الأرض الجميلة ، ورأى الأشجار وقد أورقت ،
والأزهار وقد تفتحت وابتسمت فى ألوان زاهية
والثمار قد أينعت ودنت منها القطوف وتدلّت
العناقيد ، والطير يشدو بين فراخه والحيوان مطمئن
إلى صغاره ، والأنسان ناعم مع أولاده ، ونسيم
الربيع ينشر أريجـه على الربوع ، وأغانى الفرح

تتصاعد من الحقول والمروج والمدن ، والقرويون
يرقصون وهم يحصدون .. كل شيء ينم عن استقرار
السلام والهناء والجمال . ويدل على أن الحياة تتجدد
وأن الخصب يدب في كل شيء .

فلفظ «الموت» آهة مروعة وابتعد عن النافذة وقد
أحس حقا أنه يكاد يختنق . وسار خطوتين في
حجراته ثم ارتقى في مقعده متهاككا ، وهو يردد من
بين أسنانه :

— هذا هو الأفلاس . هذا هو الخراب . انهار

مجدى وذهب سلطاني !

لكن يأسه لم يدم طويلا . فقد ذهب على قدميه
فجأة وصاح :

— لا ، .. يجب أن أكافح . كفاحي وحده خليق

أن يعيد إلى قوتي ونفوذى .

ثم التفت إلى مندوبه «الحرب» وقال له :

— تذكر جيداً . هذه ليست أول مرة تقع فى
أزمة . لقد سبق لنا أن وقعنا فى أزمات أشد من
هذه هولا . تذكر تاريخك وماضيك جيداً أيها
الحرب !

— إني متذكر تاريخي جيداً . لم يكن فى تاريخي
غاز خانق يملأ الكون مثل هذا النشيد الملعون . . .
— كان فى تاريخك دائماً فترات سكون . ولم يمنع
هذا من اشتعالك وعودتك إلى أعمالك .

— لا تطلب إلى أن أشعل نفسى بنفسى . إني
لم أصنع ذلك قط منذ ولدت . إنما أنا «علبة كبريت»
ينبغى أن . . .

— ينبغي أن توضع في يد مجنون !

قالها «الموت» وانفجر ضاحكا في قهقهة طويلة
متصلة اهتزت لها أركان المكان . وظن «المنسوب»
أن رئيسه يمزح وأن النكتة قد أعجبتة فلم يشاركه في
الضحك . لكن الرئيس التفت إليه قائلا :

— ألا تضحك وتسمر لقد وجدنا المفتاح . . .

— أى مفتاح ؟

— أقسم أنك لا تعرف تاريخك كل المعرفة .
ارجع بذاكرتك إلى الماضي تجد أن من أشعلك
دائما كان . . . (رجل مجنون) !

وعاد إلى الضحك . ثم دنا من النافذة مرة أخرى
ونظر إلى الأرض الجميلة في حلتها التي أسبغها عليها
الربيع ، وتأمل السلام المخيم على الربوع ، وأنصت

إلى أغاني الناس ورقصهم وهنائهم وصباح :
 - هاهاها . . سوف أصب على كل هذا دما أحمر !
 وترك النافذة على عجل ، واتجه إلى مشجب في ركن
 الحجرة . قد علق عليه عباءته السوداء الواسعة .
 فجذبها وتدثر بها ، وأشار بتحية سريعة من يده إلى
 مندوبه ، وقال له وهو يتركه ويهبط إلى الأرض :
 - كفاحي ونجاحي متوقفان على العشور على
 «مجنون» !

...

سار «الموت» في الأرض على غير هدى ، وجعل
 يكظم غيظه كلما مر بناس سعداء وأشجار مورقة
 وطيور مغردة . انه يكره الحياة . وهرب سريعا
 من الريف ودخل المدن فهالته المباني الرائعة الفخمة

وهاج به المارة :

- كف أيها النقاش !؟. إنك تفسد رونق المتحف .

وسمع موظفو الدار الصياح فخرجوا يهرعون

ورأوا ما حدث فصاحوا :

- قف أيها العامل ! انزل أيها العامل !

فالتفت اليهم النقاش من أعلى السلم :

- ألا يرواكم هذا اللون ؟ إن متحفكم في حاجة

إلى لون حار صارخ ...

فصاح موظفو المتحف بالناس المجتمعين :

- انزلوا هذا المغرور المجنون !

هنا لفظ «الموت» صيحة فرح دوت داخل هيكله

العظمى وقال مخاطبا نفسه :

- عثرت عليه ! عثرت عليه !

ثم تقدم إلى السلم ونادى الرجل :
 - أيها النقاش ! انزل فعندى لك عمل أعظم من هذا !
 . . .

مشى «الموت» إلى حانة من حانات «البيرة» ومعه
 النقاش يحمل ريشته ووعاء صبغته الحمراء ، وهو
 يقول «للموت» :

- هذا العمل فى أى بناء .. ؟
 فابتسم «الموت» عن أسنانه الصفراء :
 - فى بناء هائل ينبغى أن تريق عليه كله هذا
 اللون الأرجوانى . . .

فقال النقاش :
 - أرايت هؤلاء الذين لا يعجبهم عملى .
 - انهم حقى . هذه المتاحف بألوانها الهادئة

المطمئنة لما يؤذى النظر . ألا ترى مثلي ذلك ؟ كل
هذا الذى يسمونه (الجمال) وكل هذا الذى يسمونه
(المدينة) يجب أن يصب عليه لون الثورة .

فقال النقاش فى نبرة تنم عن غباء :

- أى جمال وأى مدينة ؟

فاستطرد (الموت) دون أن يصغى اليه :

- ذلك اللون الذى تشور لمراه أعصاب الوحوش

فى الغابة !

- الغابة ؟!

- نعم . ما أجمل هذا اللون الذى يعبد فى الغابة !

لفظها « الموت » وكأنه يرتل شعرا (لوان الشعر

يرضى أن يدنو من فم الموت) . ثم التفت فجأة إلى

النقاش قائلا :

- وأنت الرجل الذى يستطيع أن يلطخ كل شىء

بذلك اللون !

- اللون الأحمر ، نعم يستطيع أن أصبغ به .

- أعرف هذا .

قالها (الموت) وهو يشير بأصبعه إلى (جارسون)

الحانة يطلب إليه كأسين من بيرة (مونيخ) .

وجاء الشراب فرفع (الموت) كأسه قائلا :

- فى نخب نجاحنا !

...

عاد الموت إلى مكتبه وهو يفرك يديه سرورا .

فتلقاه مندوبه (الحرب) قائلا :

- ماذا صنعت أيها الرئيس ؟

فأجاب (الموت) باسمه :

- عثرت لك على الرجل الذى ينبغى أن تلقى بين
يديه علبة الكبريت !

- لا تنس أنه يجب أن يكون (مجنونا) .

- لم أنس .

- أين هو ؟

- بينى وبينه موعد بعد قليل .

ودخل الليل . ودقت الساعة الثانية عشرة . فأوماً
الرئيس بيده إلى (مندوبه) أمرا اياه أن يختفى فى
الحجرة المجاورة . وأقبل (النقاش) . فاستقبله (الرئيس)
بالترحاب وقدم له كرسيًا قرب المكتب . ونظر
النقاش حوله يفحص المكان . ثم التفت إلى (الموت)
قائلا :

- إني فى خدمتك .

- بل أنا الذى فى خدمتك .
- عفوا .. إنى ...
- لا تتواضع . إنك لا تعرف قدر نفسك . إنك خلقت لتغير وجه العالم . إن القدر قد اختارك لتصبغ الوجود كله باللون الذى يروقك . إنك مهيا لتسيطر على قطعان البشر . إن آلهة الغاب الوثنيين قد ندبوك لتعيد حكمهم وحكم شريعة الغابة على هذه الأرض !
- أنا ؟
- نعم أنت
- وكيف أستطيع ذلك ؟
- الخطة بسيطة . فلنسطرها على الورق أولا حتى تتحدد معالمها ويسهل السير بمقتضاها . خذ هذا القلم وأكتب .

وقدم «الموت» قلما وورقا إلى النقاش وقال له :
 - سأُملي عليك كتابا هو دستور العمل .
 أكتب : « كفاحي » !
 فرفع النقاش رأسه نحو «الموت» مستفهما :
 - كفاحك ؟ ؟
 - بل كفاحك أنت .
 - كفاحي أنا ؟
 - « كفاحنا » نحن الاثنان إذا شئت .
 قالها « الموت » في ابتسامة وهو ينظر إلى باب
 الحجرة المجاورة وقد أطل منه مندوبه «الحرب»
 برأسه وغمز بعينه لمولاه غمزة ذات معنى . وجعل
 «الموت» يملئ على النقاش الكتاب ، والنقاش يكتب
 وهو صامت وكأنه في غيبوبة ، وقد تصبب من

وجهه العرق ، وجعل يقول كالخالم :

- أنا سأقوم بكل هذا ؟ أنا سأصنع كل هذا ؟

- أنت انسان عظيم .

- أنا انسان عظيم ؟

- وصاحب رسالة هي — أك لها القدر والآلهة

الأقدمون . لا ينبغي أن تشك في ذلك لحظة . .

قال له « الموت » ذلك في نبرات قوية ، تستر

ابتسامة خفية . وعلم المندوب الآخر (المرض) بقرب

انفراج الأزمة فجاء هو أيضا يطل برأسه من خلف

الباب ، وكتفه تراحم كتف (الحرب) ومال على أذن

زميله هامسا :

- أهذا هو المجنون الذي كان يبحث عنه الرئيس ؟

- نعم قد عثرنا عليه أخيرا .

- ينبغي أن يكافأ هذا الرجل . يجب أن يمنح
هدية ثمينة . ترى ماذا سيعطيه «الرئيس» ؟
فقال «الحرب» باسم :
- ما أعطى أمثاله من قبل .
- ماذا ؟
- علبة كبريت .
- إنه جتما يحدث بها حريقا .
- هذا هو المطلوب .
- لكنه هو أيضا سيحترق .
- ولهذا هو مجنون !

هتكر

هذا المجلد لـ إبراهيم أبو بكر
والدليل هو انه نقاسه ومولف كتاب الكفالي

الانتصار الخالد

إلى أهل النرويج محي الجمال والحرية .
وإلى الشعب اليوناني منبوع الفكر الحر
والديموقراطية . وإلى كل شعب حي
يجاهد في سبيل استرداد « مطرقته
الفضية » رمز القوة المعنوية والحيوية
الروحية .

مألا القنلا

الحمد لله الذي جعل في الدنيا
كل شيء رزقا لمن يشاء
ويعلم ما لا يعلمون
ويعلم ما لا يعلمون
ويعلم ما لا يعلمون
ويعلم ما لا يعلمون
ويعلم ما لا يعلمون
ويعلم ما لا يعلمون

جاء في أساطير النرويج القديمة ، أن قصف
الرعد يحدث من عجلات مركبة إله يدعى « ثر » ،
يركض بها فوق السحب ، يجرها وعلان عظيمان .
ويروى أن لهذا الإله قصرا أحجاره من الزمرد
والياقوت به أكثر من خمسمائة حجرة ، مشيدا في
« أسجارد » مدينة الآلهة والأبطال . على أن قوة
« ثر » ومعجزته هي في « مطرقة » هائلة من الفضة
الخالصة يملكها ، لها مزية عجيبة . فهي ترتد دائما من
تلقاء نفسها إلى قبضته ، بعد أن تصيب ما يقذفه بها
لهذا حرص « ثر » كل الحرص على هذه المطرقة الثمينة

emerald

hammer

saphire
rubis

غير أن سوء الطالع شاء يوماً أن يفقد هذا الآله
مطرقة ، وأن تقع في يد عدوه «ثرجم» العملاق ...
الذي سلبها واستولى عليها مستعيناً بسلاح الخيانة
والغدر ، طامعاً في حبسها بأرض العمالقة . فأوفد
«ثر» رسولا من قبله إلى العملاق يفاوضه في الشروط
التي يقبلها لرد المطرقة الفضية .

...

لبث (ثر) أياماً في قصره ينتظر عودة سفيره ،
وقد كاد يمزق أوصاله القلق . إلى أن دخل عليه ذات
نهار بعض أتباعه يصيحون :

— السفير ! السفير !

— عاد ؟

— دخل من باب القصر الكبير .

— أحضروه !

ودخل السفير يلهث ، فابتدره (ثر) :

— قص على ما صنعت .

— ذهبت إلى أرض العملاق ... فرأيت ...

ووقف عن الكلام يسح عرقه المتصبب .

فصاح فيه :

— تكلم ... ماذا رأيت ؟

فأجاب السفير :

— لكان اللعنة حلت حقا بتلك الأرض . كل

شيء هناك يدل على أن العملاق هو حقا عدو (أودين)

إله الشعر والخير . فكل أهل تلك الأرض يعيشون

في قزع دائم ... يهمسون ولا يتكلمون كأن يدا

جهنمية هائلة تخنق كل شيء ، وكان قدما ضخمة

عائية تطأ كل شيء ...

— والنوع البشرى كيف هو هناك ؟

— مثله مثل الأغنام الحبيسة في الحظيرة ، قد

وكل بأمرها الكلاب !

— وهل رأيت العملاق ؟

— رأيت وجهه لوجه ! وقلت له : إن الخيانة

والغدر لا يليقان بالعدو الشريف . وإن (ثر) يقبل

دائماً نزاله على قواعد الصدق والأمانة والشجاعة

الحقيقية . أما أن يحتال على تجريده من سلاحه قبل

الهجوم ، بهذه الوسيلة المنكرة ، فهو ما لا تقره

الأخلاق الرفيعة .

— وبماذا أجاب ؟

— قهقه ضاحكا . وقال إنه لا شأن له بالأخلاق

والشرف ، فحسبه أن ينتزع قوة خصمه ، ليصبح في
مقدوره أن يجتاح أرضه ، وأن يذل عنقه ، إذا لم
يدعن لمطالبه .

— وما هي مطالبه ؟

— أن تسلم له في الحال إلهة الجمال والحب (فرييا)
الشقراء .

فما تمالك (ثر) أن صاح :

— (فرييا) ؟

— نعم ! ليجعل منها جارية له .

— هذا مستحيل .

— أفهمته ذلك ! فقال : إن لم تحضروا إليَّ (فرييا)

بأيديكم فانتظروا اغارتي لا أخذها بنفسى .

— (فرييا) الجميلة ! هذا مستحيل !

صاح بهذا القول الآله (ثر) . ونهض يمشى في
المكان ثائرا فاهتزت تحت أقدامه السحب . فقال
السفير :

- فلانسألهما . فلعلمها ترضى أن تبذل نفسها من
أجلك .

فقال (ثر) :

- ياللعار ! أو أقبل أنا هذا ؟ ماذا يبقى لنا إذا
ضحينا بتلك الآلهة التي تنثر في أرضنا الحب والرحمة
والحرية والجمال . وما قيمة الحياة بغير هذه الأشياء ؟
فأطرق السفير قائلا :

- حقا . لا قيمة للحياة بغير هذه الأشياء .
- هي وحدها التي جعلت في أرضنا البشر أبطالاً ،
والأبطال آلهة !

- نعم ! وهى وحدها التى تميز مملكتنا النبيلة عن
مملكة ذلك الجبار الهمجى ! لكن ...
- لكن ماذا ؟

- ينبغى أن نذكر دائماً أننا إذا لم نسلم لهذا
العملاق بمطالبه فإنه يأتى ويطأ أرضنا الحرة الجميلة
بأقدامه الوحشية !

فصاح (ثر) بصوت دوى فى المكان :
- فلندافع عن أرضنا . ولندافع عن إلهة الحب
والجمال بكل ما لدينا من قوة !
فقال السفير :

- لا تنس أنك قد جردت من القوة .
فأطرق (ثر) ملياً . ثم رفع رأسه وقال :
- أين (فرييا) أريد أن أرى (فرييا) الجميلة !

فقال أحد الحراس الأتباع :

- إن (فرييا) إلهة الحب والجمال قد خرجت
منذ الفجر تجوب الغابات والأدغال ! وتشر بسماها
على البشر ، وتودع أسرارها قلوب الآلهة والأبطال !
ولكن حارسا آخر تطلع من النافذة ثم صاح :
- ها هي ذى إلهة الحب والجمال قد عادت من
نزهتها في مركبتها المرصعة باللائىء ، تجرها قطتان
ناصعتان ، في لون الترجس والياسمين !
ودخلت (فرييا) فأنحنى لها الجميع إجلالا .
واستقبلها (ثر) قائلا :

- جئت في الحين المناسب .
فنظرت إليه مليا ثم قالت :
- أرى في وجهك شيئا ذا خطر .

- نعم يا فرييا . لقد عاد السفير .

- عاد السفير ؟ وما الذى جاء به ؟

- فليخبرك هو بما جاء به . تقدم أيها السفير .

فحمد السفير في مكانه . وعقد الحرج لسانه . فغمغم :

- أرجو من (ثر) أن يتولى ذلك عنى ...

فقال الآله :

- خجلت من عرض تلك المطالب ! حقا إنها

لمذلة تشق على نفس كل حر !

فقالت (فرييا) فى قلق .

- أى مطالب ؟

فأجاب (ثر) :

- مطالب الحمجى الطاغية . لقد وضع شروطا

قاسية ... قاسية ...

- ما هي؟ أخبروني!

فصمت (ثر) لحظة. ونظر إلى عينيها الجميلتين

طويلا. ثم قال:

- يطلببك أنت. ويريد أن يجعل منك جارية له!

فوجمت إلهة الحب والجمال. وشحب لونها.

ولبثت جامدة كالتمثال. وتحركت أخيرا. ولفظت

صيحة ألم وغضب:

- أنا؟ أنا جارية لعدو (أودين) إله الشعر والخير!

أنا أوضع تحت أقدام عدو النوع البشري! أنا أذهب

إلى أرض الغدر والخيانة والوحشية!

فهدأ (ثر) من روعها وقال:

- ذلك ما رأيته أنا أيضا مستحيلا.

- نعم. هذا مستحيل. ولن أَرْضَى هذا العار

أبدا ، ولن ترضاه الآلهة جميعا ، ولن ترضاه البشرية
النبيلة . ولو كان فيه رد مطرقتك !

وغادرت المكان . وذهبت مسرعة ، تاركة الجميع
 في أطراق وتفكير ولم يدر (ثر) ما يصنع .
 وتملكه شيء من القنوط . ولكن من حوله
 تصايحوا قائلين :

- فلنحارب ! فلنحارب ! ولنزد عن (فرييا) مهما
 يكن من أمر . انه لعار أبدي أن تترك (فرييا) لهذا
 العملاق !

فرفع (ثر) رأسه وقال :

- نعم ! فلنحارب لكن ... أين السلاح ؟

فقال أحد الذين حوله :

- فلنلجأ إلى سلاح الدهاء :

وقال آخر :

- لقد لجأ ذلك الغادر إلى الخديعة ! فلنقاتل

الخديعة بالخديعة !

وصاح صوت من بين الجمع .

- لم لا نلجأ إلى ذلك الداهية البارع «لوكي» ؟ فهو

بذكائه قدير على حل المضلات .

فأشرق الآله «ثر» بالأمل وصاح :

- أصبت . لقد كنت نسيت هذا الحاذق الماهر .

أحضروه !

فذهبوا إلى (لوكي) وأتوا به . وأخبره (ثر) بما

حدث ، وبما كان من أمر مطالب العملاق . فتفكر

«لوكي» ساعة ، وهرش لحيته الطويلة ، ثم قال :

- عندي وسيلة ناجعة تحل لكم العضلة .

فقال الآله (ثر) وجميع من حوله في صوت واحد :
- ما هي ؟

فقال «لوكي» في صوت رزين متئد :
- أن تقبلوا مطالبه ! وأن تساموا له «فرييا» .
فصاح «ثر» حانقا :

- أهذه هي الوسيلة التي حلت المعضلة !
فقال (لوكي) في هدوء :

- نعم ، والآن دعوني أشرح لكم كيف ترسلونها ...
فقاطعه الآله :

- لا نريد أن نسمع منك شرحاً أكثر من ذلك !
أيها المخرف الأخرق !

- بل اسمعوا : إننا سنعلن قبولنا المطالب ،
وسنرسل «فرييا» ، ولكن «فرييا» التي ستذهب

هى شخص آخر قد تنكر فى زيها وهيئتها .
 فبدأ ثائر الأله . ونظر إلى (لوكى) راضيا وقال :
 - ومن هذا الآخر الذى يتنكر فى زى «فرييا» ؟
 فأشار «لوكى» بأصبعه إلى «ثر» قائلا :
 - أنت نفسك .
 - أنا ؟
 - نعم أنت . وسأذهب أنا معك .

...

وضعت هـ— هذه الخطة فى الحال موضع التنفيذ .
 وأعلن السفير أن «ثر» قد رضى بشروط العملاق .
 وأن «فرييا» سترسل إلى أرض العمالقة .
 وتنكر «ثر» فى زى إلهة الحب والجمال ومضى فى صحبة
 (لوكى) حتى بلغا مملكة (ثرىم) العملاق . فاستقبلها

بالترحاب . وأعد لهما وليمة عظيمة ! حوت فاخر الطعام
وجيد الشراب . فجعل (ثر) يأكل أكلته الخليقة
يبطل . فاسترعى ذلك التفات العملاق . فقال على
(لوكي) وهمس في أذنه دهشاً متعجباً :

- أنظر ! إن إلهة الحب والجمال قد أكلت ثورا
بأكمله !

فقال « لوكي » :

- إنها لم تطعم شيئاً طول أيام الرحلة .
فسكت العملاق . ثم عاد فألقى نظرة أخرى على
« ثر » وهمس في أذن « لوكي » :

- أنظر ! أنظر ! إن إلهة الحب والجمال قد أكلت
حوتاً من السمك !

فقال « لوكي » :

- إن طعامك شهى لذ لها .

فصمت العملاق . ثم أبصر « ثر » يشرب ،

فعطف على « لوكى » :

- أنظر ! أنظر ! أنظر ! إنها قد شربت ثلاثة

أدنان من الخمر !

فقال « لوكى » :

- إن سرورها برؤيتك قد حجب إليها الشراب .

فغمغم العملاق وقال كأنه يخاطب نفسه :

- ثور وحوث وثلاثة أدنان خمر ! إن إلهة الغرام

والجمال تعشق الأكل والشرب فيما أرى !

فسمعه « لوكى » وقال له :

- إن عشق الأكل والشرب نوع من العشق على

كل حال .

وجعل العملاق يتأمل « ثر » عن كشب ويقول :

- وددت لو تخلع نقابها لأمتع عيني بجمالها !

فبادره «لوكي» قائلا :

- إن تقاليد الحب والغرام تقضى بأن يقدم المحب

هدية لحبيبه عند كشف النقاب .

فقال العملاق من فوره :

- إنى أقدم إليها ما تشاء .

فقال «لوكي» فى لباقة :

- فلتكن هديتها اذن (المطرقة) الفضية التى من

أجلها طلبتها .

- فكرة صائبة .

وأمر العملاق ، فحملت «المطرقة» وأحضرت .

فأمسك بها ووضعها عند أقدام « ثر » المتنكر . ثم

نظر إلى عينيه خلف النقاب ، فراجع وهمس في أذن
«لوكى» قلقا :

- ما بالى أرى عيني إلهة الحب والجمال تشعان بريق
حاد مخيف وتضيئان بشيء كأنه جمر ولهب ...

فقال «لوكى» فى ابتسامة غريبة :

- لأنها شديدة الشوق إلى ...

ولم يتم عبارته . فقد كانت قبضة تلك الجميلة الوهمية
قد امتدت إلى المطرقة الفضية وقذفها على الجبار .
فتحطمت أعضاؤه تحطيا ، وتناثرت أجزاءه فى الجو
كأنها غبار ...

وخلع «ثر» رداء «فرييا» الجميلة . ورجع بمطرقته
يتبعه «لوكى» الحاذق الأمين ، إلى أرض الجمال والحب
والحرية ، وقد تم لها والبشرية : الطمانينة الدائمة والنصر
الأبدى ... ذلك أن الحكمة العليا للوجود لا يمكن
أن تمنح الانتصار الخالد لغير الجمال والحب والحرية ..

صلاة الملائكة

إلى أصدقاء الإنسانية

64-172

المنظر الأول

في السماء . ملطاه من الملائكة

الملاك الأول - أنظر ، ما هذا الدخان الصاعد إلينا
من الأرض ؟

الملاك الثاني - هم البشر يحرق بعضهم بعضا .
الملاك الأول - أترأى نسوا قول آلهنا لقايين :
« ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من
الأرض . فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت
فأها لتقبل من يدك دم أخيك ! »

الملاك الثاني - وما ترى الأرض قائلة وهي تفتح

اليوم فاهما لتقبل لججا متلاطمة من دماء مليون هاييل !
 الملاك الأول - يا للويل ! أو نطل نحن في عليائنا
 نطل عليهم في سكون ؟

الملاك الثاني - وما في مقدورنا أن نصنع لهم ؟
 الملاك الأول - نهبط إليهم لنرد إلى عقـولهم
 الصواب ؛ ونفتح بصائرهم على نور الحق .
 الملاك الثاني - انهم سكارى لا يبصرون ولا
 يصغون ولا يعون .

[ترتفع إلى السماء أصوات صلاة]

الملاك الأول - أسمع ! ما هذه الأصوات الجميلة
 الصاعدة إلينا من الأرض ؟

الملاك الثاني - تلك صلاة جامعة يتوجه بها إلى
 السماء بعض العقلاء .

الملاك الأول - اصغ . إنها صاعدة من ثلاث
جهات : من الشرق ومن الغرب ومن وسط الأرض
أو بعد ذلك لا تريد منا أن نحرك ساكننا ، نحن
أهل السماء ؟

الملاك الثاني - قلت لك لن تستطيع لهؤلاء البشر
شيئا .

الملاك الأول - وهذه الدعوات الخارجة من قلوب
نبيلة ؟ أتغلق من دونها الأبواب ؟ ألا ينبغي أن تجد
إلى أسماعنا سبيلا وفي أرواحنا مستقرا ؟ يا لقسوة
أهل السماء إن ردوا هذه الدعوات وصدوا هذه
الصلوات ، وتركوها تسقط على رؤوس أصحابها
الراكعين أصداء باردة جوفاء ! إني ذاهب بمفردي .

الملاك الثاني - تهبط إليهم ؟

الملاك الأول - نعم ، مليبيا النداء . وإذا لم استطع
لهم شيئا . فلا أعش على الأقل بينهم احمل نصيبا من
العذاب مثل فرد منهم ؛ فرد من بسطاء الشعب لا
يملك غير قلب .

الملاك الثاني - أخشى عليك منهم ؟
الملاك الأول - لا ينبغي لك أن تقول ذلك . وداعا !
الملاك الثاني - إلى الملتقى !

المنظر الثاني

غابة في أوروبا . الملاك الاول في هيئة قروي

بسيط يجلس على حافة جدول تعباً هائلاً

الملاك - آه . ها هنا على الأقل مكان لا تلاحقني
فيه أصوات التدمير والتخريب والانفجار . لقد صدق
رفيقي . إن مجرد الهبوط إلى هذه الأرض كالنزول
إلى أسفل طبقات الجحيم !

(يسمع صوتاً في ماء الجدول فيصيح)

من هنا ؟

« تظهر فتاة فقيرة من بين الأشجار تحمل متاعها

وفي يدها إناء ملأته من الجدول «

الفتاة - (في خوف) من أنت ؟

الملاك - أنا .. أنا آت من المدينة .

الفتاة - أنا أيضا آتية من المدينة . إنك فيما أرى

تعب . تسمح لي أن أقدم اليك قليلا من ماء الجدول ؟

الملاك - لا . شكرا لك . إني متمطش إلى قليل

من الهدوء .

الفتاة - ها هنا مكان هادئ

الملاك - نعم

الفتاة - سأذهب لنلا أزعجك

الملاك - بل ابقى واجلسي وحدثيني أيتها الفتاة .

لماذا تهيمن وحدك في هذه الغابة الموحشة ؟

الفتاة - [تدمع عيناها] لم يبق لي أهل

الملاك - لا تبكى

الفتاة - ماتت أمى مريضة ولم نكن نملك ثمن
الدواء . وقد لحق بها أبى . أما اخوتى فاخذتهم الحرب
ولا أدري أفى الأحياء هم أم فى الأموات .

الملاك - ولماذا يقتتلون ؟

الفتاة - لست أدري

الملاك - وماذا أنت صانعة ؟

الفتاة - أود لو أجد عملا ارتزق منه . ألا تستطيع
أن تعطينى عملا يا سيدى ؟

الملاك - أنا ؟ !

الفتاة - معذرة . ربما كنت انت أيضا مثلى تبحث
عن الرزق . هناك كثيرون مثلنا لا يجدون طعاما ولا
دواء ولا مأوى .

الملاك - واأسفاه !

الفتاة - ماذا بك يا سيدي ؟

الملاك - لا شيء

الفتاة - صوتك ضعيف ووجهك شاحب . انك

جوعان من غير شك .

الملاك - لا تهتمى لأمرى

الفتاة - (تخرج من حقيبتها تفاحة) كل هذه

التفاحة . لقد قطفتها فجر اليوم من شجرة تفاح برية

في مدخل الغابة . إنها لم تزل خضراء ولكن عصيرها

حلو شهى .

الملاك - (ينظر إليها طويلا) ؟

الفتاة - لماذا تنظر إلى هكذا ؟

الملاك - (يتناول التفاحة ويبقيها في يمينه) شكرا

لك أيتها الفتاة !

الفتاة - لماذا لا تأكل ؟

الملاك - لقد طعمت ورويت

الفتاة - متى ؟

الملاك - الآن . من رحمة قلبك

الفتاة - بل كل . إن الرحمة وحدها لا تكفي طعاما لنا

الملاك - إنها هي كل طعامي وشرابي

الفتاة - آه يا صديقي الطيب القلب . اتأذن لي أن

أدعوك صديقا !

الملاك - إنك لتضيئين روحي بالفرح

الفتاة - هلم نسير معا في هذه الغابة لعلنا نهتدي

إلى بغيتنا . عفوا . ما أشد أثرتي . إني ما سألتك

عن حالك .

الملاك - إني . . إن بغيتي هي أن أراك في خير .
هلمى نسير . ما أجمل الأرض لو استطاع الإنسان
فيها أن يبصر وأن يحب وأن يجعل الرحمة تتدفق من
نفسه تدفق الماء من هذا الجدول . .

الفتاة - أنظر أيها الصديق . هذا الطير الأخضر
الذي يرد ماء الجدول . إن بجانبه أرنباً وحشياً . أتراه؟
إنه خلف العشب . وانه يشرب هو الآخر . لكأنى
بهما صديقان .

الملاك - نعم . نعم . .

الفتاة - اسمع . الآن وقد احتسى الطير من كأس
النهر . ها هو ذا يفتح منقاريه ويغرد . . .
الملاك - وهذا الأرنب لم يقفز ولم يهرب . إنه
كالمعتاد الأصغاء إلى صديقه . أنظري أذنيه وقد

تفتحتا كأنهما زنبقتان ؛ وعينيه وقد لمعتا كأنهما
فيروزتان !

الفتاة - أتدرى ماذا يقول هذا العصفور ؟

الملاك - لا يمكن أن يكون فيما يقول غير الخير
والسلام والأمل .

الفتاة - أصبت . إنه يخاطب هذه الزهرة البرية
التي ما زال يقطر منها الطل :

(تغنى) يا بسمه الصبح للكائنات

هذا الندى ليس قطرة ماء

يا زهرة الأمل للكائنات

إن دمعك دمع السماء

الملاك - غنيتها مرة أخرى ...

الفتاة - ماذا بك ؟ أرى في عينيك عبرة تلمع أيها

الصديق !

الملاك - غنى مرة أخرى : « إن دمعك دمع السماء »

أصبت . أصبت يا صديقتي اللطيفة !

الفتاة - (تنظر إليه مليا) رباه !!

الملاك - لماذا تطيلين النظر إلىّ !

الفتاة - لست أدرى

الملاك - لا تراعى . هلمى . نسير . هاتى يدك !

الفتاة - إني لم أسألك عن اسمك ؟

الملاك - وأنا أيضا لم أسألك عن اسمك . ما نفع

الاسماء . لقد عرفت عنك كل ما ينبغى أن أعرف ..

الفتاة - وأنا أيضا . .

(يسمعان صوتا يقترب)

الملاك - من المقبل ؟

الفتاة - (تنظر) هذا راهب فيما أرى

(يظهر راهب يحمل متاعه فوق منكبيه)

الراهب - من أنتما ؟

الملاك - من أين أنت قادم أيها الراهب ؟

الراهب - من الويل الأكبر والليل الأبهيم
والخطب الأعظم الذى حاق بالبشر . هنالك حيث
يمطر الانسان أخاه الانسان نارا محرقة دونها نار جهنم !

الفتاة - اجلس يا أبى . إنك متعب .

الراهب - اسقيني شربة من ماء

الفتاة - (تسقيه من الاناء وتعطيه تفاحة من

حقيبتها) اشرب واطعم واهدأ نفسا .

الملاك - لماذا يقتتلون ؟

الراهب - (وهو يأكل) لأنهم يعبدون اليوم إلهما

جديدا يحل قتل الشعوب ويأمر بشريعة الأقوى .

إلهما ذا مخالب وأنياب مصفحة بالصلب والفولاذ

الفتاة - نعم ، يا للبلاء !

الملاك - وأنت أيها الراهب . ماذا تنتظر للذود
عن الآله الحقيقي الذي يأمر بشريعة العدل والمحبة
والأخاء البشرى .

الراهب - بماذا أذود ؟

الملاك - بسلاحك القدسي : الحق

الراهب - الحق ! إني أنتظر إلى أن ينبت للحق
أنياب .

الملاك - لن ينبت للحق انياب . ولا ينبغي له .
لأن الحق نور ينفذ إلى القلوب .

الراهب - أما سمعت أن سلطة « القوة » تطفئ
اليوم كل نور ، سواء ما أشع في المدن أو

الطرقات أو القلوب ؟

الملاك - أهذا كلام رجل الدين ؟

الراهب - من أين أنت هابط أيها الرجل ؟ إن

الآديان ذاتها قد وقعت اليوم في يد القوة الطاغية

تدعى حمايتها وتضع عليها رايتها كأنها قطع من الأرض !

الملاك - لا تدع الشك يداخلك في صميم رسالتك

أيها الراهب . فياضعة الآمال إذا حدث ذلك . إن

كل هذا التقتيل والتحريق والتدمير الذي أصاب

الأرض لأقل خطرا عليها — من تدمير الإيمان

بسلطان الحق !

الراهب - (يطيل النظر إلى الملك) من أنت أيها

الرجل الساذج !

الفتاة - لا تختلفا . خير لنا أن نتجه ثلاثتنا صوب

السماء وأن نسألها المعونة على اطفاء نار الشر وإقرار
اخير بين البشر .

الراهب - أنت أيضا أيتها الفتاة البسيطة ،
تحسين السماء تسمع أصواتنا الثلاثة الضعيفة وهي
التي لم تسمع دوى المدافع وانفجار القنابل !

الفتاة - أحقا قد تخلت عنا السماء يا أباي ؟ أو قد
تركتنا وجهها لوجه أمام قسوتنا ووحشيتنا وآثامنا ؟
أما من رجاء ؟ أما من عزاء . تكلم أيها الراهب .
يا أبتاه . متى نستطيع أن نهتف من قلوبنا : « ترغى
أيتها السموات وابتهجي أيتها الأرض ، لتشد الجبال
بالترنم ، لأن الرب قد عزى شعبه وعلى بأثسيه يترحم »

الراهب - كفكفي دمعك أيتها البنية !

الملاك - نعم . ابسمي أيتها الصديقة اللطيفة .

الفتاة - أنت أيضا في عينك دمة .

الملاك - اسمى وغنى .

الفتاة - (باسمة) أغنية الزهرة البرية ؟

الملاك - نعم .

الفتاة - (تغنى) :

يا بسمة الصبح للكائنات

هذا الندى ليس قطرة ماء

الملاك - (مكملا) :

يا زهرة الأمل للكائنات

إن دمعك دمع السماء

الراهب - (يصيح السمع) اصغيا . ألا تسمعان

حفيفا بين الشجر ؟

الفتاة - نعم !

الملاك - (ينظر) هذا رجل هائم على وجهه

الراهب - انه طريد آخر

(يظهر رجل يحمل متاعه وعصاه ويترنح قليلا)

الرجل - (يقف أمام الثلاثة متأملا) فتى وفتاة

وراهب ! وإذا اجتمع راهب وفتى وفتاة فمعناه زواج

يعقد ؟ أنا مخطيء أيها السادة ؟ ولقد كان ينقصكم

واحد : الشاهد (يشير إلى نفسه) وقد حضر . وخمر

وكؤوس (يخرج زجاجة وكأسا من بين متاعه) وقد

حضرت !

الراهب - من أنت أيها المخلوق ؟

الرجل - عالم في الكيمياء

الراهب - أو كل سكير يحمل زجاجة يستطيع

أن يدعى علم الكيمياء ؟

العالم - أو كل من يحمل زجاجة تستطيع أن تدعوه
سكيرا أيها الراهب !

الراهب - أو تطمع في أن أدعوه قديسا ؟
العالم - إن دعوتني كذلك فانك لن تعدو الحقيقة
بكثير . ولكني اكتفي منك بأقل من ذلك . ادعني
فقط « رجلا ذا ضمير »

الراهب - إنك في عرف السماء رجل مرتكب
لمعصية .

العالم - آه ، دعنا من قاموس حرفتك وكلماتك
المحفوظة أيها الراهب . حسبك الفتى والفتاة (زبونين)
فصب على رأسيهما مما في جعبتك . أما أنا فاطر كنني
وشأني . فأنى ما جئت هذه الغابة إلا لأني رجل ذو
ضمير . ألا تصدق ؟ ألا تصدقون جميعا ؟

الملاك - إني أرى نقاء ضميرك .

العالم - ها هو ذا رجل طيب القلب كريم النفس .
إليك وحدك يا هذا أوجه الكلام . فأني واثق من
أنك تفهمنى . أما بقية الناس ...

الملاك - نعم . إني أفهمك

العالم - قبل كل شيء ثق أنى عالم فى الكيمياء
الملاك - إني أثق

العالم - الآن هات يدك وخذ كأسا

الملاك - لا . لا . شكرا . إني ... إني لست عطشان

العالم - (يجرع) أما أنا فأريد أن املأ رأسى خمرأ
لأقتل العلم غرقا . لا تحسب أنى خرجت عن وقار
العلماء . لم يبق للعلم ولا للعلماء وقار

الملاك - لماذا ؟

العالم - تلك قصة طويلة لم اجيء لسردها الآن
لا تذكرني بما كان أيها الرجل .

الملاك - ربما استطعت لك شيئا

العالم - انت !

الملاك - اني رجل بسيط ، ولكنني استطيع أن
أفهمك . لأنني أحس ما في نفسك . واثالم لأملك .

العالم - (يلتفت إليه وينظر مليا) من أنت ؟

إنك فيما أرى رجلا فقير بأئس شريد ! نعم .

أنا أيضا تأملت لك يوما . لك ولا مثالك من

ملايين البائسين . ومن أجل ذلك طردوني

واضطهدوني . ومن أجل ذلك أنا الآن معكم في

هذا المكان .

الفتاة - من أجل الفقراء والبائسين !

العالم - جميعا . وأنت معهم . وهذا الراهب
أيضا . لقد أنفقت عشرين عاما افكر فيكم . عشرين
عاما أضع مشروعا لاسعادكم أيتها المخلوقات المسكينة
إن العلم كان يستطيع القضاء على شقائكم . وإزالة
جوعكم ومرضكم وعريكم . وإبدال جحيمكم جنة واسعة
لقد أوصلتني الكيمياء إلى نتائج عظيمة بنفقات
مقبولة . ولكن .. إليكم المهزلة : جاء يوم فاذا الزعيم
الطاغية يطلبني ويقول لي : « اطرح من رأسك
هذه البحوث الخرافية ووجه علمك إلى طريق المجد »
فقلت له . « وما هو طريق المجد ؟ » فأجابني صائحا :
« نريد قنابل قنابل ، نريد مدافع مدافع ، نحن نريد
من كيميائك ان تحول لنا اللبن إلى قنابل والزبد إلى
مدافع ، وانت تريد ان تحول اللبن والزبد إلى

أفواه الحمقى والمغفلين امثالك ايها العالم الأخرق !
الملاك - اللهم رحماك !

العالم - ارايتم كيف تبدد حلمي أيها الأخوان ؟
والآن ها أنذا قد فقدت إيماني بسمو رسالة العلم !
آه لعنة الله على العلم الذي يرضى أن ينتزع الطعام من
أفواه البشر ليضعه في أفواه المدافع ! (يجرع كأسه)
الملاك - لا ينبغي أن تياس

الراهب - أيها الرجل الساذج . متى يكون اليأس
إذن ؟

الملاك - مهلا . مهلا . لا تفزعوا كل هذا الفزع
أمام قوة الشر

العالم - أيها الفتى إنك لا تدرك مدى قوة الشر .
إن عودا واحدا من الثقاب يستطيع ان يحرق مدينة .

وان طاغية واحدا ألهب أمته بحمى التدمير وألقى بكل
مالها في إعداد ادواته قد استطاع أن يلهب في عين الوقت
جيرانه بالعدوى ، فجيران جيرانه ثم العالم اجمع . وإذا
كل بلاد الأرض تلقى كنوزها وغذاء أبنائها في هذا
الأتون . وإذا مليارات المليارات تتدفق من مشارق
الأرض ومغاربها في هذا السبيل الجهنمي . لم تعد
الانسانية جمعاء تفكر في غير آلات الخراب . وانفاق
مليارات المليارات من أجلها . وأنا الذي كنت احلم بمليار
واحد لاسعاد البشر اجمعين . كل انهار الذهب التي تنبع
من قلب الأرض تصب الآن مواد منصهرة لتحطيم
الأرض . هذه الحمى الخبيثة التي أصابت الآدميين
كافة هي ككل حمى منشؤها جرثومة . جرثومة واحدة
في شكل طاغية . دخل جسم الدنيا الهادئة المطمئنة

فأحدث فيها تلك الافرازات السامة والاهتزازات
المهستيرية التي قد تؤدي بها إلى الانحلال فالاختضار
فالموت .

(يسمع صوت انفجار)

الفتاة - (منفرعة) ما هذا ؟ أسمعون ؟

العالم - تلك قنبلة سقطت في الغابة

الراهب - صه ! اسمع أزيز طائرات ...

الفتاة - الهى ، أولن يتركوا حتى الغابات النائمة

الباسمة .

الراهب - (ينظر إلى السماء صامحاً بقول الكتاب

المقدس) « استيقظى ! استيقظى . البسى درع القوة

يا ذراع الرب . استيقظى كما فى أيام القـدم ...

ألسيت أنت طاعنة التنين ؟ ألسيت أنت مجففة البحر

ومياه الغمر العظيم، الجماعة أعماقه طريقا لعبور المفديين؟»
 الملاك - (مرتلا) «أنا . أنا هو معزيكم ، من
 أنت حتى تخافى من انسان يموت ومن ابن الانسان
 الذى يجعل كالعشب ! »

(انفجار يدوى دويا عظيما)

العالم - إليكم قنبلة انفجرت قربنا !
 الراهب - هلموا نختبيء قبل أن تصيبنا شظية .
 العالم - لن اختبيء . يريدون حياتى . فليأخذوها
 فقد أخذوا خير ما فيها وهى حرىتى العامية .
 الفتاة - وأنا أيضا لن اختبيء . فقد أخذوا أهلى
 الراهب - وأنت أيها الفتى ؟
 الملاك - إنما أنا هنا فى خدمتكم
 الراهب - لست أنا إذن الذى يبكى جسده . فلتثبت

جميعا . وليأخذوا إذا شاءوا هذه الرمم والاشلاء
العالم - صدقت . هي رمم واشلاء بعد ان
تجردت من الحرية والتفكير والعقيدة والايمان والهناء
بل . . . حتى الادمية جردونا منها . كل شيء اخذوه
ليجعلوه وقودا لتلك النيران التي اشعلوها كي تظهر
اسماءهم الخاملة مضيئة في عين التاريخ

الراهب - التاريخ ! التاريخ هـذا الدين الذي
صنعتموه أنتم بأيديكم أيها العلماء وملائتموه بخمر
الانتصارات الدموية لتسكروا به اولئك السفاكين
والطغاة فأفرغوه من أفواههم بدورهم في نفوس
الرعايا والشعوب !

العالم - وأنتم يا رجال الدين ، ألم ترضوا أحيانا
أن تخلعوا أردية القداسة على مجازر اولئك

السفاكين والطغاة !

الملاك — كفى تنابذا ! لماذا لا تتفقان ؟ كلا كما
مؤمن . وكلا كما راهب . فما الدين إلا إيمان القلب وما

العلم إلا إيمان العقل !

العالم — أصبت . كفى تنابذا بين العلم والدين منذ

مئات السنين !

الملاك — آه لو اتحد العقل والقلب من قديم ضد
الغريزة الحيوانية لكان للأنسانية اليوم شأن آخر !
الراهب — لقد سخرنا منا طويلا هؤلاء العلماء وقالوا

انهم فوق الأنسانية لأنهم يبحثون عن الحقيقة

العالم — ليس هنالك علم فوق الأنسانية . تلك

عقيدتي دائما . ولقد قلتهم — الزملائي يوم حاكموني
وجردوني من شاراتي والقصابي وقبلوا هم أن يخدموا

الطغيان . صحت فيهم : ينبغي أن يكون العلم إنسانيا وإلا وقع في الحيوانية . لأن ما خرج من يد أحدهما وقع في مخلب الآخر . ولا شيء ولن يكون شيء غير ذلك فوق هذه الأرض . آه ، انكم لا تدركون مدى قوة الشر . اتعلمون كم بلغت تكاليف الحرب الكبرى الماضية ؟ اسمعوا قول زميلي الدكتور بطر الامريكي الذي قضى سنوات يجمع الاحصاءات . لقد ذكر في تقريره الذي قدمه لمؤسسة روكفلر أن ما أنفق على تلك الحرب في سنواتها الأربع لو أنه صرف في التعمير بدلا من التدمير لكان من المستطاع أن يخصص لكل أسرة في العالم منزل صغير بحديقة جميلة ، وان تنشأ في كل مدينة يزيد سكانها على عشرين ألفا مكتبة نفقاتها مليون جنيه وجامعة نفقاتها مليون

جنّيه أيضاً ثم يبقى بعد ذلك مبلغ عظيم يكفي لإنشاء
المستشفيات في كل بقاع الأرض ! ولكن ٠٠ ولكن
البشر لم يجرؤوا بعد على تحمل بعض هذه النفقات من
أجل خيرهم وسعادتهم !

الملاك - هات يدك أيها الراهب

الراهب - ماذا تفعل ؟

الملاك - أضعها في يد هذا العالم

الراهب - نعم . ضعها في يده . إلهي الذي في
السموات . إني أحس إيماني الكامل يعود إلى قلبي
كما تعود النعجة الضالة إلى الحظيرة !

الملاك - ثق يا أخي الراهب أن القلب والعقل وهما
الملكتان النورانيتان العلويتان في الإنسان لا يمكن
أن يمكنهما طويلاً في أسر المخالب والأنياب .

الراهب - من أنت أيها الفتى؟ ينبغي أن تقول
لنا من أنت؟

الملاك - أنا ... انى ذاهب . ينبغي أن اذهب
الآن ... لأصنع شيئاً آخر ..
العالم - أو تترك الفتاة؟

الملاك - انها بينكما فى سلام وأمان
الراهب - أولاً تنتظر حتى نعقد لك عليها كما قال
أخونا العالم؟

الفتاة - (تدمع عيناها) إني لست به جديرة !
الملاك - (تدمع عيناه) يا زهرة الأمل لا تبكى
فان دمعك دمع السماء !
الفتاة - وداعاً !

الملاك - (يلوح إليها بالتفاحة فى يمينه) . يا شجرة
الحب للكائنات . لن تفارقنى تفاحتك . ولا ذكراك
يا أطف المخلوقات ! « يختفى »

المنظر الثالث

قاعة مؤتمر. الطاغيتان واقفان ومعهما بتاملان خريطة
للدنيا فوق مائدة والابواب عليهما مغلقة

الطاغية الاولى - (يشير بأصبعه إلى جزء من
الخريطة) أريد أن أسود هذه الأمم والشعوب !
الطاغية الثانية - (يشير إلى الجزء الآخر) وأنا
أسود هذه الأمم والشعوب !

(يظهر الملاك من خلف إحدى الستائر)
الملاك - الأمم والشعوب خلقها ربها حرة لا
تقتسم ولا تستلب كما تقتسم الغنائم والانعام !

الطاغيتان - (مذعورين) من هذا ؟

الملاك - كيف نسيتم قول الله في التوراة « ها ابنى
أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي ، هل
تسلب من الجبار غنيمة ، وهل يفلت سبي المنصور .
فانه هكذا قال الله ، حتى سبي الجبار يسلب وغنيمة
العاثي تفلت . وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك
واطعم ظالميك لحم انفسهم ويسكرون بدمهم كما من
سلاف ... »

الطاغية الاول - كيف دخل هذا الرجل ؛

الطاغية الثاني - (همسا) صه . لا تتحرك في يمينه

قنبلة يدوية صغيرة على شكل تفاحة !

الطاغية الاول - فهمت

الطاغية الثاني - (للملاك) وبعد ؟ نحن في خدمتك

الملاك - بل أنا الذى فى خدمتكما ، إذا رضيتما أن
تفتحا قلوبكما قليلا لرحمة السماء !

الطاغية الاول - إنك لا شك اخطأت المكان
الذى تفهم اليوم فيه هذه اللغة !

الملاك - انى لم اياس بعد من فهمكما اياها
الطاغية الاول - بل ينبغى أن تياس سريعا . فأن
لدينا الآن لغة أخرى وكتبا مقدسة جديدة أملتها
روح شعبنا الجديد ومطالب حياته .

الملاك - ما هى مطالب الحياة لشعبكم الجديد ؟
الطاغية الاول - أن يسود على بقية الشعوب والاجناس
الملاك - وأن يسود عليه هو الشقاء والجوع والظلام !
الطاغية الاول - انه مستعد لبذل التضحية .

الملاك - بذل التضحية لمن ؟ لك انت أيها الطاغية

لأن تلك هي مطالبك أنت لا مطالب الشعب إذ
لا يمكن لشعب أن يطلب من أعماق نفسه حقاً هذه
المطالب . إن ضمير الشعب أبسط وانقى من ذلك .
إنما السيادة والجبروت والطغيان هي مطالب الغرور
التي تنبت في رأس رجل واحد . فيسخر شعبه
المسكين كله لتحمل اعبائها ويسأله التضحية ويعطيه
ثمنها هذه الألفاظ التي تسكره ولا تشبعه . من هو
الشعب الحقيقي غير ذلك الخطاب في الغابة والفلاح
في الحقل والعامل في المصنع والتاجر في الحانوت
والزوجة في البيت . أهؤلاء يطمعون في أن يسودوا
الشعوب والاجناس . لماذا ؟ . إنما كل مطالبهم من
الحياة أن يجدوا طيب الغذاء وراحة البال والضمير
وصحة الجسم والعقيدة وحرية القول والعمل والتفكير

مطالبهم الحقيقية في الحياة أن يسودوا الشقاء الأدمى
 لا أن يسودوا اخوتهم الأدميين . وما كان يسر
 تحقيق آمالهم النبيلة لو انكم أيها الطغاة أردتم حقا
 اسعادهم هم . ولكنكم لا تريدون غير اسعاد أنفسكم
 أنتم بالاستيلاء على ما تحسبونه تيجان المجد الذى
 يزين جباهكم المظامة !

الطاغية الاول - (همسا لزميله) هذا رجل خطر !
 الطاغية الثانى - (همسا) لو خاطب الشعب بهذا
 الكلام ؟ لكن كيف تركه رجالك حرا حتى الساعة ؟
 الطاغية الاول - (للملاك) هذا كلام بديع . من
 أنت أيها الرجل ؟

الملاك - إني ... رجل غريب . آت من بعيد
 الطاغية الاول - (همسا) لحسن الحظ !

الطاغية الثانية - (همسا) إن فيه مع ذلك لسذاجة
تدعو إلى الاطمئنان . تستطيع أن تضغط على زر
الجرس الداني من اصبعك . لكن مع الحذر
(يفعل ذلك ويفتح الباب ويدخل بعض الاتباع)
الطاغية الاولى - (مشيرا إلى الملاك) هذا السيد
النبيل زارنا على غير انتظار ومن غير دعوة

كبير الاتباع - كيف دخل ؟

الطاغية الاولى - هذا ما ينبغي أن تجروا فيه تحقيقا
كبير الاتباع - (يحيط مع رجاله بالملاك) اتبعنا
الطاغية الثانية - عجبا . انه لم يقاوم !
الملاك - ماذا هم صانعون بي ؟

الطاغية الاولى - (ساخرا) ما صنع بالمسيح قبلك !
الطاغية الثانية - (ساخرا) تمجيذا لقدرك وقدر

رسالتك التي بلغتنا !

الملاك - آه « لكن هذه ساعتكم و ساطان الظلام » !
الطاغية الاول - (لتابعه) لا ينبغي لهذا الرجل أن
يخالط الشعب لحظة . استجوبوه استجوابا سريعا
وأعدموه .

الطاغية الثاني - حاذروا مما في يده اليمنى
كبير الاتباع - (يقبض على يمين الملك) هذه تفاحة
الطاغية الاول - حقيقة ؟

كبير الاتباع - نعم . وما زال عليها ندى الصباح
الملاك - (في تضرع) لا تأخذوها مني . لا
تأخذوها مني !

المنظر الرابع

محكمة عسكرية

الرئيس - (للملاك نافذ الصبر) وبعيد ؟ ألا تريد
أن تجيب ؟

الملاك - لقد أجبت .

الرئيس - اصغ إلى . من واجبي أن انبهك مرة
أخيرة إلى سوء المصير إذا اصررت على إخفاء الحقيقة .

الملاك - أنا اخفي الحقيقة ؟ لماذا ؟ اني لا أعرف

كيف تخفي الحقيقة ؟

الرئيس - لقد سألتك عن اسمك . ما اسمك ؟

الملاك - اسمي ؟ الحقيقة اني لم أفكر في ذلك . لم يكن لدى وقت لاختيار اسم من الاسماء ، لقد كان ما يشغلني أعظم من ذلك وأجل . ومع ذلك ما الفرق بين اسم واسم ، كل الاسماء سواء . اختر لي من الاسماء ما تشاء .

الرئيس - (يلتفت إلى أعضاء المحكمة حوله يائسا)
ووطنك ؟ جنسيتك ؟

الملاك - عجباً ! هذا أيضاً شيء لم أفكر فيه . إنما أنا على هذه الأرض الجميلة وكفى . ما الفرق بين بقعة وبقعة ، وجنس وجنس . كل البقاع والأجناس سواء . اختر لي من البقاع والأجناس ما تشاء .

الرئيس - (يلتفت إلى من حوله هازا رأسه)
وأهلك ؟

الملاك - أهلى ! عجباً .. لماذا تسألوننى هذه الاسئلة
 الغريبة ! أهلى ؟ كل الناس أهلى . لأن كل بنى
 الإنسان اخوة . حتى أنتم يا من تحا كوني . أنتم
 أيضا أهلى . إني أحبكم كلكم . لأننى أحب بنى
 الإنسان .

الرئيس - كيف دخلت قاعة الزعيمين ؟
 الملك - كما دخلت هذه القاعة . وكما دخل هذا
 الضوء (يشير إلى شعاع الشمس الداخل من النافذة)
 الرئيس - لقد كان حول المكان حراس .
 الملك - لم أر حراسا ، ولم يمنعنى أحد من الدخول
 الرئيس - ولماذا دخلت ؟
 الملك - لأفتح قلبى الطاغيتين .
 الرئيس - [هامسا للأعضاء] لقد اعترف أخيرا .

[يلتفت إلى الملاك] تفتح قلبيهما؟ بأي سلاح؟

الملاك - بسلاح الحق المضىء .

[الرئيس يهز رأسه خائب الأمل]

الرئيس - ألم يكن معك سلاح آخر؟

الملاك - لا أستطيع أن أحمل غيره .

الرئيس - حمل هذا السلاح على كل حال يكفي

وحده لا دانتك . هل لك شركاء؟

الملاك - نعم .

الرئيس - (يتناول القلم في رجاء) أمل على اسماءهم .

الملاك - ضع اسمك في المقدمة .

الرئيس - «وقد فوجيء» ماذا تقول؟

الملاك - وضع اسماء هؤلاء الأعضاء من حولك

وهؤلاء الحراس والجنود . وبقية أفراد هذا الشعب

وجميع الشعوب . لن تجد ورقا يتسع لكافة الأسماء .
كل من له قلب شريك لي . لأن كل قلب يترنم في
أعماقه بعين الكلمات وينشد عين الأناشيد . ولكن
الأذان لا تسمع من هذا شيئا لأن هنالك لحظات ،
يطغى فيها صوت الشر على كل الأصوات !

(الرئيس يتشاور همسا مع الأعضاء)

الرئيس - (ملتفتا إلى الملاك) أليدك دفاع آخر تبديه ؟

الملاك - دفاع عنمن ؟

الرئيس - عن نفسك بالطبع .

الملاك - نفسي ؟ أيتها السموات عجباً ! أنا جئت

لأدافع عن نفسي !

الرئيس - اذن قد انتهت محادثتك . قررت المحكمة

العسكرية اعتبار المتهم خطرا على الأمن وسلامة

الدولة وحكمت بأعدامه رميا بالرصاص قبل غروب
شمس هذا النهار .

الملاك - (كالمخاطب لنفسه في دهشة) خطر على
الأمن وسلامة الدولة ذلك الذي يقول للناس : حبوا
بعضكم بعضا !

الرئيس - (في شبه سخرية وهو ينهض) ان المحكمة
تأسف لعدم تشرفها بوضعك على الصليب . فالصليب
ليس عقوبة مقررة في قانون المحاكم العسكرية !
(المحكمة بكامل هيئتها تنفض)

الملاك - (بين الحراس يائسا) إلهي ! ما هؤلاء
البشر الذين يعدون الحضر على تأخيرهم جريمة لا
تغتفر !

المنظر الخامس

أمام طاير الأعداء

الضابط - « للملاك » ؟ تطلب شيئاً ؟

الملاك - لا . شكرا لكم .

الضابط - « لأحد الجنود » عصب رأسه !

(يتقدم الجندي بعصاة سوداء ليخفي رأس الملاك وعينه)

الملاك - « يقصيه عنه برفق » لماذا تحجبون عني

منظر الأرض الجميلة في اللحظة الأخيرة ؟

الضابط - إنما نحجب عنك منظرا آخر .

الملاك - منظركم وأنتم تسفكون دمي ! حتى هذا

المنظر لا ينبغي ان تحجبوه عني . فاني أعرف كيف
 احبكم على الرغم من ذلك وأرثي لكم . أنتم أيها الجنود
 الذين يصفونكم دائماً «بالشجعان» ! تمويهها وتضليلها
 ليخدعوكم عن حقيقة الحياة الإنسانية ، ويغروكم بحياة
 الكواسر في الغابة : « تقتلون وتُقتلون » ذلك كل
 عملكم «المجيد» ! وتلك كل حياتكم التي يريدونها لكم
 على هذه الأرض التي لا تبصرون جمالها ولا تسمعون
 غناءها لأنهم يغطون رؤوسكم وعيونكم بهذه
 الخوذات الثقيلة !

الضابط - «صائحا» كفى ، كفى . أمستعد ؟
 الملاك - مستعد . اللهم اشهد أني قد صنعت من
 أجلي ما استطعت !

الضابط - «يلحظ يدم الملاك» ماذا تحمل في يمينك ؟

الملاك - «يرفع يده بالتفاحة في حرص وخوف»
لا تأخذوها مني !

الضابط - تفاحة ؟ ما تصنع بها الآن ؟
الملاك - «متوسلا» انها خير ذكرى أحملها من
الأرض !

الضابط - «ينظر في ساعته» أزفت الساعة !
«ويصيح في الطابور فيرفع الجنود بنادقهم ويصوبونها
إلى صدر الملاك» .

الملاك - اللهم اشهد اني لم أرد تركهم ولا التخلي
عنهم ، إنما هم ...

«ينطلق الرصاص إلى فؤاده فيقطع عبارته ...»

ff
former

المنظر السادس

في السماء . تراتيل الملائكة وصورة من أرجاء السماء

الملاك الثاني - « للملاك الاول » عدت إلينا سريعا !
الملاك الاول - « ويل لساكني الأرض . إن
ابليس نزل اليهم وبه غضب عظيم علما أن له زمانا
قليلًا » .

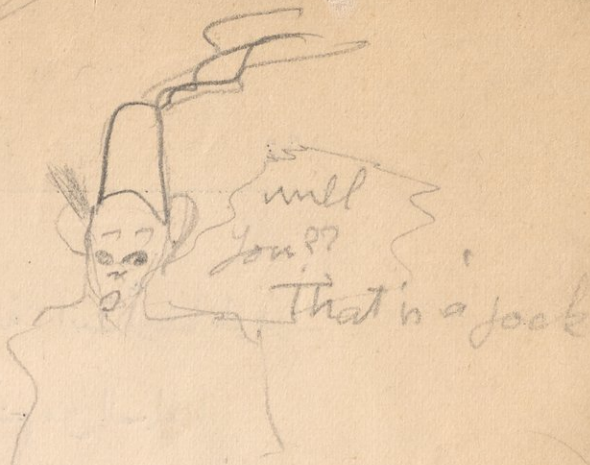
الملاك الثاني - ألم أقل لك انهم لن يصغوا إلينا
وانك لاق منهم ما لقيت .

الملاك الاول - « ناظرا إلى التفاحة في يده »
آه ... لكن مع ذلك ...

الملاك الثانى - ما هذه التفاحة ! انت أيضا طردوك
من الأرض بتفاحة كما طرد آدم من السماء !
الملاك الاول - « هامسا مترنما » يا شجرة الحب
للكائنات . إن دمعك دمع السماء .
الملاك الثانى - ماذا بك ! إنك تعود إلينا بوجه
غير الذى ذهب به .

الملاك الاول - « يصغى » ما هذه الاصوات
والتراتيل !

الملاك الثانى - تلك صلاة يقيمها رفاقك الملائكة من
أجلك . فقد علموا أنك على الأرض فى خطر .
الملاك الاول - من أجلى أنا يصلون . ألا فلتكن
صلاة الملائكة اجمعين من أجل أهل الأرض
المساكين !



المؤلف السيد
توفيق الحكيم

Mohamed
Hosam
Eldeen
Mohamed
Hosam
milan

فهرست

صفحة

تمهيد ٩

تأنيذ الموت ٧٣

الاقتضار الخالد ٩٧

صلاة الملائكة ١١٧

Beautiful

M.E.S.

Sz

Parker for
Beautiful girl

DA

PJ
7828
K52
S8
1941
c.1

71

FEB

OCT '71

